المحجة

في سير الدلجة

شرح حديث

« لَنْ يُنجِّيَ أحدًا منكم عَمَلُه »

للحافظ ابن رجب الحنبلي

حققه وخرج أحاديثه

يحيى مختار غزاوي

دار البشائر الإسلامية

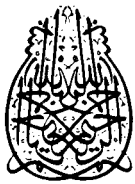

المحجة

في سير الدلجة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م

دار البشائر الإسلامية
ص.ب ٥٩٥٥ ـ ١٤
بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، إن الله تعالى أنزل كتابه هدى ونوراً، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. وأنزل معه السُّنة المطهرة مبينةً له، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «أوتيت القرآن ومثله معه». وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليكَ الذِّكر لتُبيِّن للنَّاسِ ما نُزِّل إليهم﴾ (النحل: ٤٤).

فالسنة المطهرة أصل من الأُصول التشريعية للأمة الإسلامية تلي كتاب الله عز وجل. يؤخذ منها الأحكام والأخلاق وكل ما يحتاجه المرء والمجتمع في حياته وآخرته.

لذلك عنيت الأمة الإسلامية بهذا الأصل العظيم

وحفظته لنا حتى وصل على طبق من فضة لا تشوبه شائبة. وذلك بما بذلوه ــ عليهم رحمة الله ــ في التحري والتَّقصي في نقل هذا الأصل، لوقايته من كل يدٍ عابثة أو حاقدٍ لئيم.

وعلى هذا الدرب والطريق سار الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى، فقام بما وَسِعَهُ القيام به من حفظ السنة. فاعتنى بها شرحاً وتعليقاً أو جمعاً وتبويباً أو تأليفاً.

ومن هذه الأعمال التي قدمها رحمه الله تعالى، ما أنا بصدده ألَا وهو كتابه الجليل المسمى بـ«المحجة في سير الدلجة».

هذا الكتاب عظيم القدر عميم الفائدة حيث أنه شرح فيه أهم الأحاديث وأدقها والتي تختص بمصير الإنسان، ألَا وهو قوله ﷺ: «لن يُنَجِّيَ أحداً منكم عَمَلُه». قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلّا أَنْ يتغمدني الله برحمتهِ».

فقام رحمه الله تعالى بشرحه فوضحه بأسهل عبارة وألطف كلمة حتى أن القارىء ليبدأ بأوله فما يسعه إلَّا أن ينهيه ويكمله. ثم قام على استخراج ما فيه من فوائد

ونصائح وإرشادات وتوجيهات تربوية وأقام عليها الدليل من كتاب الله وسنة نبيه وأقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم من سلفنا الصالح.

نسخ الكتاب:

يسرّ الله لي الحصول على خمس نسخ مخطوطة، بعضها مذكور تاريخ النسخ والبعض الآخر غير مذكور. وهذا بيانها:

أ ـ نسخة مصورة جيدة الخط، قليلة السقط والخطأ. كتبها إبراهيم بن سليمان بن حجي بن محمد بن عبد، لثلاث بقين في شهر ربيع الأول سنة ١١٩٣.

رقمها ٨٦/٦٨٦، ورقم الفلم المأخوذة منه (ف ٥٣) من مصورات جامعة الرياض.

ب ـ نسخة جيدة بها أثر بلل، لكنها أقل جودة من سابقتها. كتبها عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالوهاب في القرن الثالث عشر الهجري تقديراً، بخط نسخي معتاد.

رقمها ٢٢٥٢، من مخطوطات جامعة الرياض[1].

---

(١) راجع تفصيل وصفها في فهرس مخطوطات جامعة الرياض (٤) الحديث وعلومه ص (٣١١).

ج ـ نسخة حسنة ضمن مجموع، غير أنها كثيرة الخطأ. كتبها عبدالله بن إبراهيم الربعي سنة ١٣٣٣هـ، بخط نسخي معتاد.

رقمها ٢/١٦٣٧م (ص ٥٣ ـ ٧٩) من مخطوطات جامعة الرياض[١].

د ـ نسخة مصورة جيدة عن نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد. غير معروف الناسخ والتاريخ غير أن تقدير كتابتها في القرن الثالث عشر الهجري، وخطها تعليق.

رقمها ٣١٢٢، ورقم الفلم (ف ١/٥٨٥)، من مصورات جامعة الرياض.

هـ ـ نسخة مصورة جيدة بخط مقروء. كتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقديراً، غير معروف الناسخ.

رقمها ٣٤٦٨، من مصورات جامعة الرياض.

كما اطلعت على النسخة المطبوعة ضمن كتاب «المجموعة السلفية» للشيخ علي بن عبدالله الصقعبي القصيمي، وهي كثيرة السقط والخطأ.

عملي في الكتاب:

اعتمدت النسخة « أ » كأصل لجودتها وقلة أخطائها

---

(١) المصدر السابق، ص (٣١٢).

وقدم نسخها بالنسبة لباقي النسخ، فقابلت بقية النسخ عليها ونبهت إلى الخلاف في حال اختلاف المعنى.

كما قمت بتخريج الآيات والأحاديث، وعزو معظم الآثار وترجمة الأعلام المذكورين في النص. كما جعلت فهرساً للآيات وآخر للأحاديث في آخر الرسالة تسهيلاً للمراجع. وقدّمت بترجمة موجزة مختصرة للحافظ ابن رجب الحنبلي، رحمه الله تعالى.

هذا وأرجو من الله تعالى صدق النية والإخلاص له سبحانه. وهذا جهدٌ مقل ولا يخلُ عمل من نقص، فقد أبى الله أن لا تكون العصمة إلّا لكتابه. فما كان من خطإٍ فمن نفسي ومن الشيطان وما كان من صواب فمن الله عز وجل.

والله ولي التوفيق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين

وكتبه

يحيى مختار غزاوي

ليلة يوم الجمعة المباركة
الحادي عشر من جمادى الآخرة
من السنة الثالثة والأربعمائة بعد الألف الهجرية

ترجمة المؤلف(*)

هو الإمام الحافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن ـ الملقّب رجب ـ البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن رجب الحنبلي.

ولد العلاَّمة ابن رجب في بغداد سنة ٧٣٦هـ، وقدم دمشق مع والده وهو صغير سنة ٧٤٤هـ. وفيها بدأ تلقيه للعلوم فسمع الحديث وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ، ورحل إلى مكة ومصر وغيرها.

برع الشيخ في فن الحديث وصار أعرف أهل عصره

(*) للتوسع في الترجمة يُرجع إلى: أنباء الغمر بأبناء العمر ٣/١٧٥، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢/٤٢٨ ت ٢٢٧٦، والدارس في تاريخ المدارس ٢/٧٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٣٦، وشذرات الذهب ٦/٣٣٩، والرسالة المستطرفة ١٤٧.

بالعلل وتتبع الطرق. وكانت له مجالس تـذكير للقلوب صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة. اجتمعت عليه الفرق ومالت القلوب بالمحبة إليه.

ترك ابن رجب مصنفات كثيرة مفيدة، منها: شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم ـ شرح الأربعين النووية ـ، وذيـل على طبقات الحنـابلة لابن أبـي يعلى، والقواعد الفقهية في مذهب الحنابلة، ورسائل كثيرة مفيدة في شرح أحاديث نبوية.

توفي رحمه الله في يوم الإثنين رابع عشر رمضان سنة ٧٩٥هـ، ودفن بباب الصغير بدمشق.

كتاب المحجة في سير الدلجة للشيخ زين الدين بن رجب رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي أحداً عمله
قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا
وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرجه أيضاً في موضع آخر من كتابه ولفظه إن هذا الدين يسر
ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة
وخرج أيضاً من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل
الجنة أحداً عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة وخرج أيضاً
من حديثهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة وإن أحب الأعمال إلى الله
أدومها وإن قل قد اشتملت هذه الأحاديث الشريفة على أصل عظيم فاعتبرهم ونبه على
مسائل شتى من مسائل السير والسلوك إلى الله من طريقة الموصلة إليه أما الأصل فهو أن عمل الإنسان لا ينجيه من
النار ولا يدخله الجنة وإنما ذلك كله إنما يحصل بمغفرة الله ورحمته وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله
فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها
الأنهار وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار فعلق
دخول الجنة والنجاة من النار وبه بالمغفرة والرحمة فدل على أنه لا يتأتى شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته ولهذا
السلف الجنة إنما بعفو الله والنار والدنيا إنما ... الله والعمل ... واسع ... يودع أصحابه عند موته
... عليكم السلام إلى الجنة أو يعفو الله فأما قوله تعالى تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله
كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية فقد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين أحدهما أن دخول
الجنة برحمة الله واقتسام المنازل بالأعمال قال ابن عيينة كانوا يرون أن النجاة من النار بعفو الله ودخول
الجنة بفضله واقتسام المنازل بالأعمال والثاني أن الباء المثبتة في قوله بما كنتم تعملون وقوله بما
أسلفتم في الأيام الخالية باء السبب ونفي النبي سبب الدخول الجنة والباء المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم

صورة الصفحة الأولى من النسخة « أ »

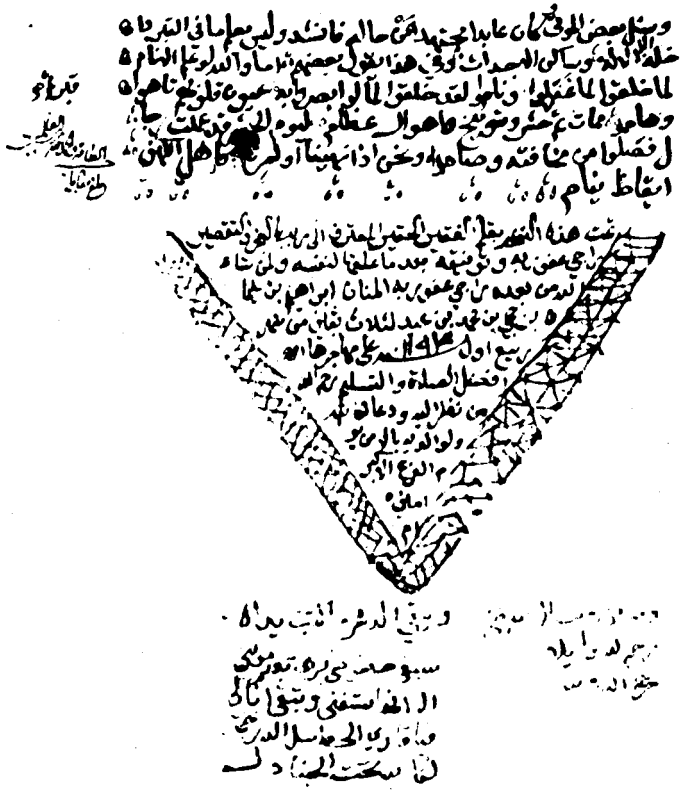

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة « أ »

كتاب بيان المحجة في
الدلجة تأليف الشيخ الإمام
العالم العلامة ابن رجب

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يغفر الله لكل عبد يعني أحد عملا» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرج أيضا في موضع آخر من كتابه ولفظه إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وخرج أيضا من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته بمغفرة ورحمة وخرج أيضا من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا واعملوا لن يدخل الجنة أحدكم عمله الجنة وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل واشتملت هذه الأحاديث الشريفة على أصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها ما لم يأت

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ب»

أما والله وعلم الأنام لما خلقوا لما غفلوا ونام
لقد خلقوا للبصر قلبه عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
فمات ثم قبر ثم حشر ونفخ وأهوال عظام
يوم الحشر قد عمت رجال فصلوا من مخافة وصيام
ومن إخفينا أو أمرنا كأهل الكهف أيقاظ نيام

تمت هذه النسخة المباركة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبها لنفسه ولمن شاء الله من بعده
الفقير إلى رحمة ربه عبد الله
بن أحمد بن إبراهيم
بن محمد بن عبد
الوهاب

غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة
كتبها من خط كثير الغلط والتحريف فرحم الله من صححها

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «ب»

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم ❊ بكتمان عين دمعها الدهر يذرف
حملت جبال الحب فوق وانني ❊ لا عجز عن حمل القميص واضعف

بحمد الله وعونه واحسانه وطوله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
وذلك بقلم عبده ابراهيم الدبيعي في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة ١٣٣٤

كتاب المحجة في سير الدلجة تاليف الشيخ الامام العالم العلامه الحبر البحر الفهامه زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرجه ايضا في مواضع اخر في كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احدا الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وخرج ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرة ورحمة وخرج ايضا من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا واعلموا انه لا يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل اشتملت هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها مسائل شتى من مسائل السير والسلوك الى الله تعالى في طريق الاصل

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ج»

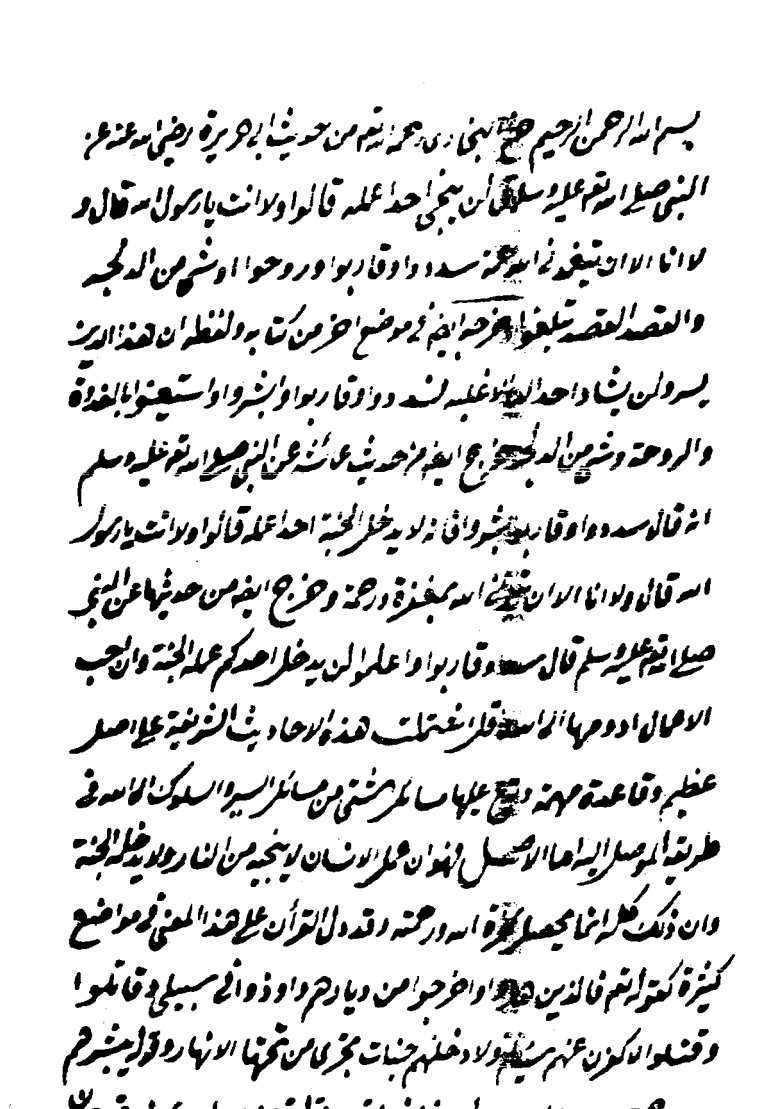

صورة الصفحة الأولى من النسخة « د »

صورة الصفحة الأولى من النسخة «هـ»

المحجة

في سير الدلجة

شرح حديث

« لَنْ يُنجِّيَ أحدًا مِنكم عَمَلُه »

للحافظ ابن رجب الحنبلي

حققه وخرج أحاديثه

يحيى مختار غزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

خرَّج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لن يُنَجِّيَ أحداً عملُه» قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلَّا أن يتغمدني الله برحمته، سَدِّدوا وقاربوا واغدوا ورُوحوا وشيءٌ من الدُّلْجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا»(١).

وخرَّجه أيضاً في موضع آخر من كتابه، ولفظه: «إنَّ هذا الدِّين يُسر، ولن يشادَّ الدينَ أَحدٌ إلَّا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري بلفظه في كتاب الرقاق ١٨١/٧، وفيه زيادة «أحداً منكم» و«برحمة» بدل «برحمته».

(٢) أخرجه البخاري بلفظه ولكن أسقط «هذا» من «إن هذا الدين» وزاد لفظ «هذا» في «ولن يشاد هذا الدين..». في كتاب الإيمان ١٥/١. وأخرجه النسائي بلفظه في كتاب الإيمان ١٢١/٨ ــ ١٢٢.

وخرج أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدْخل الجنةَ أحداً عملُه». قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلَّا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»[1].

وخرج أيضاً من حديثها عن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدخل أحدَكم عملُه الجنة، وإنَّ أحب الأعمال أدومها إلى الله وإنْ قل»[2].

اشتملت هذه الأحاديث الشريفة على أصل عظيم، وقاعدة مهمة. ويتفرع عليها مسائل شتى من مسائل السير والسلوك إلى الله في طريقه الموصل إليه.

---

(١) أخرجه البخاري بلفظه بتقديم «أحداً» على «الجنة». في كتاب الرقاق ١٨٢/٧.

(٢) أخرجه البخاري بلفظه كتاب الرقاق ١٨٢/٧؛ وأخرج مسلم هذه الأحاديث بالمعنى في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح (٢٨١٦) وما بعده.

□ الأصل العظيم:

أما الأصل فهو أن عمل الإنسان لا يُنْجِيه من النار ولا يُدْخِله الجنة، وإن ذلك كله إنما يحصل بمغفرة الله ورحمته.

وقد دلَّ القرآن على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لِأُكَفِّرَنَّ عنهم سيئاتهم ولَأُدْخِلَنَّهُم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿يُبشِّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾[3].

فَقَرَن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبينَ المغفرة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٢.

(٣) سورة الصف: الآيتان ١١ ــ ١٢.

والرحمة فدلَّ على أنه لا يُنال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته. قال بعض السلف: الآخرة إمَّا عفو الله أو النار، والدنيا إما عصمة الله أو الهلكة. وكان محمد بن واسع[1] يودع أصحابه عند موته ويقول: عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله[2].

□ بيان معنى الباء في الآية والحديث:

فأما قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾[4]، فقد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين:

---

(١) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن عائذ بن خارجة بن زياد بن شمس الأزدي، أبو بكر ويقال أبو عبدالله البصري. كان إذا قيل من أفضل أهل البصرة قيل محمد بن واسع، وقال سليمان التيمي: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله بمثل صحيفته، إلا محمد بن واسع. خرج إلى خراسان غازياً مع يزيد بن المهلب. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة (الحلية ٢/٣٤٥ ت ١٩٩)، (التهذيب ٩/٤٩٦ ت ٨٢٠).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة محمد بن واسع ٢/٣٤٨ ت ١٩٩.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٧٢.

(٤) سورة الحاقة: الآية ٢٤.

أحدهما: أن دخول الجنة برحمته ولكن انقسام المنازل بحسب الأعمال[1]. قال ابن عيينة: كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقتسام المنازل بالأعمال.

والثاني: أنَّ الباء المثبتة، في قوله تعالى: ﴿بما كنتم تعملون﴾ وقوله تعالى: ﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾، باء السببية، وقد جعل الله العمل سبباً لدخول الجنة[2]. والباء المنفية في قوله ﷺ: «**لن يدخل أحدٌ الجنةَ بعمله**»،

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر عن ابن بطال، فتح الباري ١١/٢٩٥.

(٢) قال النووي رحمه الله عند شرحه لهذه الأحاديث: في هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته. وأما قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾، ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ ونحوهما من الآيات الدَّالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله. فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال ــ أي بسببها ــ وهي من الرحمة، والله أعلم. شرح النووي على مسلم ١٠/٢٧٨.

باء المقابلة والمعاوضة[1]، والتقدير لن يستحق أحد دخول الجنة بعمل يعمله. فأزال بذلك توهم من يتوهم أنَّ الجنة ثمن الأعمال، وأن صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة إلى صاحبها تسليم سلعته، فنفى بذلك هذا التوهم، وبيَّن أن العمل وإنْ كان سبباً لدخول الجنة، إنما هو من فضل الله ورحمته.

فصار الدخول مضافاً إلى فضل الله ورحمته ومغفرته لأنه هو المتفضل بالسبب والمسبَّب المرتب عليه، ولم يبق[2] الدخول مرتباً على العمل نفسه.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إنَّ الله عز وجل يقول للجنة: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشاء من عبادي»[3].

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر عن الكرماني. فتح الباري ٢٩٦/١١.

(٢) في الأصل ونسخة زيادة (إلَّا) وباقي النسخ كما أثبتناه. وهو الصحيح، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ٤٨/٦؛ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح (٢٨٤٦)؛ والترمذي في كتاب صفة الجنة، ح (٢٥٦١).

مـا للعبـاد عليـه حقٌّ واجب
كـلا ولا سعي لـديـه ضـائـع
إن عُـذِّبـوا فبعـدلِهِ أو نُعِّمُـوا
فبفضله وهـو الكـريم الـواسـع

□ الحمد لله ثمن كل نعمة:

فإن قيل: فقد روى حبيب بن الشهيد[1] عن الحسن قال: الحمد لله ثمن كل نعمة، ولا إله إلاَّ الله ثمن الجنة. وروي هـذا المعنى مرفـوعاً من حـديث أنس وأبـي ذر وغيرهما، وإن كان في أسانيدها ضعف[2]. ويشهد لذلك قول الله عز وجل: ﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقٌّ في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك

---

(١) الحبيب بن الشهيد: أبو محمد الأزدي الحافظ، سمع الحسن ورأى أنس بن مالك رضي الله عنه. قال أحمد: ثقة ثبت يقوم مقام ابن عون ويونس. مات سنة خمس وأربعين ومائة (التذكرة ١/١٦٤ ت ١٦٠).

(٢) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» ١/٢٩٩، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن عدي والمستغفري، لا يصح شيء منها.

هو الفوز العظيم﴾[1]. فجعل الجنة ثمناً للنفوس والأموال.

فالجواب: إن الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته وكرمه، ومنِّه وطَوْله، خاطب عباده بما ندبهم إليه من طاعته على حسب ما يتعارفونه بينهم في تصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم. وجعل نفسه مشترياً منهم ومستقرضاً وجعلهم بائعين له ومقرضيه، ليكون ذلك أدعى إلى استجابتهم لدعوته ومبادرتهم إلى طاعته، وإلاَّ ففي الحقيقة الكل له ومِلكه ومن فضله وإحسانه ورحمته. فالنفوس والأموال كلها ملك له، كما أمرنا عند المصائب أن نقول: ﴿إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون﴾[2]. ومع هذا فقد مدح من بذل له نفسه وماله وجعله بائعاً له ومقرضاً، كالذي له ملك يبيعه ويقرضه لغيره مِمَّن لا يملكه عليه كذلك الأعمال كلها من فضله ورحمته، وقد مدح عليها ونسبها إلى عاملها وجعلها شكراً منهم لنعمه ومكافأة لها.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

□ بيان معنى النعم وأنّ الحمد منها:

وقد روى ابن ماجه من حديث أنس مرفوعاً: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلَّا كان ما أَعْطَى أفضل مما أخذ»[1]. وكذا قال عمر بن عبدالعزيز والحسن[2] وغيرهما من السلف. وأشكل ذلك على كثير من العلماء قديماً وحديثاً وعلى ما قررناه معناه ظاهر، فإن المراد بالنعم: النعم الدنيوية، والحمد: من النعم الدينية. والنعم الدينية أفضل من النعم الدنيوية، ولكن لمّا كان الحمد منسوباً إلى العبد لفعله له، وقيامه به، جعله الله معطياً لأعظم النعمتين، مكافئاً بها للنعمة الأخرى. ولهذا جاء في الأثر: الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافىء مزيده[3]. فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمناً للجنة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب ح (٣٨٠٥)؛ ورواه الطبراني عن أبي أمامة، مجمع الزوائد ٩٥/١٠. وفي الزوائد على ابن ماجه: إسناده حسن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري في كتاب الشكر، ص ٢٣.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ١٧١/٤: يروى أن جبريل علم آدم هذه الكلمات: الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، وقال: علمتك مجامع الحمد. قال: ابن الصلاح في كلامه على =

□ الجنة والعمل من فضل الله تعالى:

وعند تحقيق النظر فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين. ولهذا يقول أهل الجنة عند دخولها: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رُسُل رَبِّنا بالحق﴾[1]. فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وبأسبابها من الهداية، وحمدوا الله على ذلك كله جُوزوا بأَنْ نودوا: ﴿أَنْ تِلْكُم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[2] فأضيف العمل إليهم وشُكروا عليه.

= الوسيط: ضعيف الإسناد منقطع، غير متصل. قلت: فكأنه عثر عليه حتى وصفه. وأما النووي فقال في الروضة في مسألة جل الحمد: ما لهذه المسألة دليل يعتمد، ثم وجدته عن ابن الصلاح في أماليه بسنده إلى عبدالملك بن الحسن عن أبي عوانة عن أيوب بن إسحاق بن سافدي عن أبي نصر التمّار عن محمد بن النضر قال: قال آدم: يا رب شغلتني بكسب يدي، فعلمني شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح، فأوحى الله إليه: يا آدم إذا أصبحت فقل ثلاثاً، وإذا أمست فقل ثلاثاً: الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، فذلك مجامع الحمد والتسبيح. وهذا معضل، اهـ.

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

ونظير هذا ما قاله بعض السلف: إنَّ العبد إذا أذنب ثم قال: يا رب أنت قضيت عليَّ، قال له ربه: أنتَ أذنبت وأنت عصيت، فإن قال العبد: يا رب أنا أخطأت وأنا أسأت، وأنا أذنبت. قال الله: أنا قضيت عليك وقدرت، وأنا أغفر لك.

□ الشقاء والسعادة بعدله ورحمته جلَّ وعلا:

ومما يتحقق به معنى قول النبي ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**»، أو «**لن ينجّي أحداً عمله**»، أن مضاعفة الحسنات إنما هي من فضل الله عز وجل وإحسانه، حيث جازى بالحسنة عشراً ثم ضاعفها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة[1]. فهذا كله فضل منه، ولو جازى بالحسنة مثلها كالسيئات لم تقوَ الحسنات على إحباط السيئات، فكان يهلك صاحب العمل لا محالة، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في صفة الحسنات: إن كان ولياً لله فَفَضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يُدخِله بها الجنة[2]، وإن

---

(١) وبهذا المعنى أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ١٨٧/٧؛ ومسلم في كتاب الإيمان ح (١٣١)؛ والترمذي في كتاب التفسير ح (٣٠٧٣).

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ: «فإن بقيت حسنةً وسَّع الله له في الجنة». الذي رواه الحاكم، في كتاب التوبة ٢٥٢/٤. وقال: صحيح الإسناد.

كانَ شقياً قال المَلَك: يا رب فَنِيت حسناته وبقي له طالبون كثير؟ قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكاً إلى النار[1].

فتبيَّن بهذا أن من أراد الله سعادته أضعف الله حسناته حتى يستوفي الغرماء ويبقى له منها مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة، وذلك من فضل الله ورحمته. ومن أراد الله شقاوته وله غرماء لم تضاعف حسناته كما تضاعف لمن أراد سعادته، بل يضاعفها عشراً فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها، وتبقى لهم مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها النار، فهذا عدله وذلك فضله.

ومن هنا قال يحيىٰ بن معاذ[2]: إذا بسط فضله لم يبق لأحد سيئة، وإذا جاء عدله لم يبق لأحد حسنة[3].

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «أتدرون من المفلس... إلى قوله ﷺ فإن فنيت حسناته قبل أن ينقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فطرح في النار» يأتي في ص ٩٠، أخرجه الشيخان والترمذي وغيرهم.

(٢) يحيىٰ بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا الواعظ الزاهد. توفي في نيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين (طبقات الصوفية ١٠٧ ت ١٤)، (الصفوة ٤/ ٩٠ ت ٦٧٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة يحيىٰ بن معاذ ١٠/ ٥١.

وأيضاً، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من نُوقش الحساب هلك»[1]. وفي رواية «عُذِّب»، وفي رواية «خصم»[2] متفق عليه. وخرَّج أبو نعيم من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: قل لأهل طاعتي من أمتك لا يتكلموا على أعمالهم فإني لا أناظر عبداً الحساب يوم القيامة أشاء أعذبه إلاَّ عذبته. وقل لأهل معصيتي من أمتك لا يلقوا بأيديهم فإني أغفر الذنب العظيم ولا أبالي»[3]. وقال عبدالعزيز بن أبي روّاد[4]: أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود بشِّر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ١٩٧/٧؛ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح (٢٨٧٦)؛ وأبو داود في كتاب الجنائز، ح (٣٠٩٣)؛ والترمذي في كتاب صفة القيامة، ح (٢٤٢٦).

(٢) لم أجد هذا اللفظ عند من أشار إليهم المؤلف.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: دخلت المسجد وأمير المؤمنين علي على المنبر يخطب وذكر الحديث مرفوعاً. . .وفيه عيسى بن مسلم الطهوي، قال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه. وبقية رجاله ثقات إن شاء الله، ورواية المجمع: (أقاص) بدل أناظر، مجمع الزوائد ٣٠٧/١.

(٤) عبدالعزيز بن أبي رواد: مولى المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة أبو عبدالرحمن. ذهب بصره عشرين عاماً ولم يعرف به أهله، قال: =

المذنبين وأنذر المُصَّدقين. فكأنه عَجِبَ، فقال: يا رب، أبشر المذنبين وأنذر المُصَّدقين؟ ! قال: نعم، بشِّر المذنبين أنه لا يتعاظمني ذنب أغفره، وأنذر المصدقين أني لا أضع عدلي وحسابي على عبد إلاَّ هلك[1].

قال ابن عيينة: المناقشة سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيء. وقال ابن يزيد: الحساب الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو، والحساب اليسير الذي تغفر ذنوبه وتقبل حسناته. فتبين بهذا أنه لا نجاة للعبد بدون العفو والرحمة والتجاوز، وأنه متى أقيم العدل المحض على عبد هَلك.

ومما يبين ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ثم لتُسألنَّ يومئذٍ عن النَّعيم﴾[2]. فهذا يدل على أن الناس يُسألون عن النعيم في الدنيا، وهل قاموا بشكره أوْ لا؟ فمن طولب بالشكر على كل نعمة من عافية وصحة وجسم وسلامةِ

= أحمد: كان رجلاً صالحاً متعبداً. وقال ابن المبارك: كان يبكي ودموعه تسيل على حده. توفي سنة تسع وخمسين ومائة (التهذيب ٦/٣٣٨ ت ٦٥٠)، (الصفوة ٢/٢٢٨ ت ٢١٥).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبدالعزيز بن أبي روّاد ٨/١٩٥.

(٢) سورة التكاثر: الآية ٨.

حواس وطيب عيش واستُقصي ذلك عليه، لم تف أعماله كلها بشكر بعض هذه النعم، وتبقى سائر النعم غير مقابلة بشكر فيستحق صاحبها العذاب بذلك. وخرَّج الخرائطي[1] في كتاب الشكر من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقف بين يدي الله عز وجل فيقول لملائكته: انظروا في عمل عبدي ونعمتي عليه. فينظرون فيقولون: ولا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه. فيقول: انظروا في عمله سيِّئِهِ وصالحه. فينظرون فيجدونه كفافاً، فيقول: عبدي قد قبلت حسناتك وغفرت لك سيئاتك، وقد وهبت لك نعمي فيما بين ذلك»[2].

وخرَّج الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إنَّ الرجل يأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على

---

(١) الخرائطي: الإمام الحافظ محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري الخرائطي، صاحب مكارم الأخلاق وغيره من التصانيف. قال الذهبي: هو المحدث الثقة. توفي في سنة سبع وعشرين وثلاث مائة، بمدينة يافا من الشام. (الرسالة المتطرفة ٣٨)، (التذكرة ٣/٨٣٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس، كتاب التوبة ٤/٢٥٢؛ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد لليمانيين ولم يخرجاه.

جبل لأثقله، فَتَقْدُم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك، إلاَّ أن يتطاول الله برحمته»[1]. وخرَّج ابن أبي الدنيا[2] من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «يؤتى بالنعم يوم القيامة ويؤتى بالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه: خذي حقَّك من حسناته. فما تترك له حسنة إلاَّ ذهبت بها»[3]. وبإسناده عن وهب بن مُنَبِّه[4]

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط بمعناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه أيوب بن عتبة وهو ضعيف وفيه توثيق لين.

(٢) ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد، القرشي الأموي مولاهم أبو بكر البغدادي الحافظ، صاحب المصنفات المشهورة في الزهد والرقائق ومؤدب أولاد الخلفاء. كان صدوقاً صاحب علم كثير. توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ومائتين. (التهذيب ٦/١٢ ت ١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده عن أنس ص (٧) في كتاب الشكر. لكن فيه صالح ابن موسى وهو متروك كما في التقريب ١/٣٦٣ت ٥٧. ولكن معناه يتقوى بما رُوي من قبل. وذكره صاحب كنز العمال بلفظه وعزاه إلى أبي الشيخ وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس رضي الله تعالى عنه ١٤/٣٧٨ ح (٣٩٠٠٧).

(٤) وهب بن منبه: أبو عبدالله الصنعاني علَم أهل اليمن الحافظ. وعنده من علم أهل الكتاب الشيء الكثير، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام. كان ثقة واسع العلم ينظر كعب الأحبار في زمانه. توفي سنة أربع عشرة ومائة (التذكرة ١/١٠٠ ت ٩٣).

قال: عَبَدَ عابدٌ خمسين عاماً، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لك. قال: يا رب وما تغفر لي ولم أذنب؟ فأذن الله لِعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصلِّ، ثم سكن وقام فأتاه ملك فشكى إليه ما لقي من ضربان العرق، فقال الملَك: إن ربك عز وجل يقول: عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق[1].

وفي صحيح الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً عن جبريل عليه السلام: «إن عابداً عبدالله على رأس جبل في البحر خمسمائة سنة، ثم سأل ربه أن يَقْبِضَه ساجداً، قال جبريل: فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا، ونجد في العلم أنه يُبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الرب عز وجل: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول العبد: يا رب بعملي، يفعل ذلك ثلاث مرات، ثم يقول الله للملائكة: قايسوا عبدي بنعمي عليه وبعمله، فيجدون نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد له. فيقول: ادخلوا عبدي النار. فيُجر إلى النار

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه ٤/٦٨.

فينادي برحمتك أدخلني الجنة، برحمتك أدخلني الجنة، فيدخله الجنة. قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد»[1].

□ ما يجب على العبد معرفته:

فمن حقق معرفة هذه الأمور، عرف أن العمل وإنْ عظم فإنه لا يستقل بنجاة العبد، ولا يستحق به على الله دخول الجنة. ولا النجاة من النار، وحينئذٍ فيفلس العبد من عمله وييأس من الاتكال عليه ومن النظر إليه وإن كثر العمل وحسن، فكيف بمن ليس له كثير عمل وليس له عمل حسن؟ فإن هذا ينبغي أن يشغله الفكر في التقصير في عمله، ويشتغل بالتوبة من تقصيره والاستغفار منه.

□ الاشتغال بالشكر أعظم النعم:

فأما من حَسُن عمله وكثر، فإنه ينبغي أن يشتغل بالشكر عليه فإن ذلك من أعظم نعم الله على عبده. فيجب مقابلته بالشكر عليه وبرؤية التقصير في القيام بشكره،

---

(١) أخرجه الحاكم بطوله في كتاب التوبة والإنابة ٤/٢٥٠. وقال: صحيح، وتعقبه الذهبي بأن سليمان بن هرم العابد غير معتمد.

كما كان وهيب بن الورد[1] إذا سُئل عن أجر عمل من الأعمال يَقُول: لا تسألوا عن أجرِهِ ولكن سلوا عما يجب على من هُدي له من الشكر عليه[2]. وكان أبو سليمان يقول: كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يُعد العمل نعمة من نعم الله عز وجل وإنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، إنما يعجب بعمله القدرية[3]. يعني الذين لا يرون أن أعمال العباد مخلوقة لله عز وجل.

□ العمل لا يوجب النجاة:

وما أحسن ما قال أبو بكر النهشلي[4] يوم مات داود

---

(١) وهيب بن الورد بن أبي الورد القرشي مولى بني مخزوم أبو أمية، اسمه عبدالوهاب، ووهيب لقب. كان الثوري إذا فرغ من الحديث قال: قوموا إلى الطبيب، يعني وهيب. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة (التهذيب ١١/١٧٠ ت ٢٩٢)، (الصفوة ٢/٢١٨ ت ٢١٤).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/١٥٥.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/٢٦٣.

(٤) أبو بكر النهشلي الكوفي، ابن عبدالله بن أبي قطاف، واختلف في اسمه. أخرج له مسلم ووثّقه غير واحد، رُمي بالإرجاء لذا قال ابن حجر: صدوق. مات في يوم عيد الفطر سنة ست وستين ومائة. (التهذيب ١٢/٤٥ ت ١٧٩)، (التقريب ٢/٤٠١).

الطائي[1] وقام ابن السمَّاك[2] بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله ويبكي، والناس يبكونه ويصدقونه على مقالته ويشهدون بما يثني به عليه، فقام أبو بكر النهشلي فقال: اللَّهم اغفر له وارحمه ولا تكله إلى عمله[3]. وفي سنن أبي داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً: «لو عَذَّب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»[4]. وفي صحيح الحاكم عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: واذُنوباه واذُنوباه. قالها

---

(١) داود الطائي: ابن نُصير بضم النون، والطائي نسبة إلى الطي، أبو سليمان الكوفي الفقيه الزاهد. قال محارب بن دثار: لو كان داود في الأمم الماضية لقصَّ الله علينا من خبره. قال أبو نعيم توفي في خلافة المهدي سنة ستين ومائة (التهذيب ٣/٢٠٣ ت ٣٨٧).

(٦) ابن السماك: محمد بن صبيح بن السماك أبو العباس، من كبار الزهاد. كان يقول: عجباً لعين تلذ بالرقاد وملك الموت معه على وساد. توفي بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة (الحلية ٨/٢٠٣ ت ٣٩٩)، (الطبقات الكبرى للشعراني ١/٦١).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٧/٣٣٩.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، ح (٤٦٩٩)؛ وابن ماجه في المقدمة ح(٧٧).

مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «قل اللَّهم مغفرتك أوسع لي من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي»، فقالها، ثم قال له: «عد» فعاد، ثم قال له: «عد» فعاد فقال: «قم فقد غفر لك»[1].

ذنوبي إن فكَّرت فيها كثيرة
ورحمة ربي من ذنوبي أوسعُ
وما طمعي في صالح قد عملتُهُ
ولكنني في رحمة اللَّه أطمعُ

□ الاعتراف بفضل الله عز وجل:

فإذا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم وعُلم أن العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة، فضلاً عن أن يوجب بنفسه الوصول إلى أعلى ما في الجنة من منازل المقربين، والنظر إلى وجه رب العالمين، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته. فذلك يوجب على المؤمن أن

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث جابر في الدعاء ١/٥٤٣.
قال في الفيض للمناوي: وأخرجه الضياء في المختارة، ونقل عن الحاكم قوله: رواته مدنيون لا يعرف واحد منهم بجرح. اهـ، الفيض ٤/٥٢٢.

يقطع نظره عن عمله بالكلية وأن لا ينظر إلاَّ إلى فضل الله ومنّته عليه كما سُئل بعض العارفين: أي الأعمال أفضل؟ قال: رؤية فضل الله عز وجل، وأنشد:

إنَّ المقاديرَ إذا ساعدتْ
ألحقَتْ العاجزَ بالحازم

□ ما على العبد للفوز والنجاة:

فيتعين حينئذٍ على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول الجنة، وللقرب من مولاه والنظر إليه في دار كرامته، أن يطلب ذلك بالأسباب الموصلة إلى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته. فبها ينال ما عند الله من الكرامة. إذ الله سبحانه وتعالى قد جعل الوصول إلى ذلك أسباباً من الأعمال التي جعلها موصلة إليها، وليس ذلك موجوداً إلاَّ فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله، وأخبر عنه رسوله أنه يقرِّب إلى الله ويوجب رضوانه ومغفرته، وأنه مما يحبه الله، أو أنه من أحب الأعمال إلى الله عز وجل. فقد قال تعالى: ﴿إنَّ رحمتَ الله قريب من المحسنين﴾[1]

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

وقال تعالى ﴿ورحمتي وسِعَتْ كلَّ شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾[1].

فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الإحسان التي شرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والتقرب بذلك إلى الله عز وجل فإنه لا طريق للعبد يوصله إلى رضى مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك.

□ بيان أحبّ الأعمال إلى الله:

وقد أشار النبي ﷺ في هذه الأحاديث المُشار إليها في أول الجزء من رواية عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما إلى أنَّ أحب الأعمال إلى الله عز وجل، شيئان:

أحدهما: ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلًا، وهكذا كان عمل النبي ﷺ وعمل آله وأزواجه من بعده. وكان ينهى عن قطع العمل. وقال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

قيام الليل»[1]، وقال ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجل فيقول قد دعوتُ فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويَدَع الدعاء»[2]. قال الحسن: إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوماً على طاعة الله عز وجل فبغاك وبغاك، فإن رآك مداوماً مَلَّكَ ورفضك، وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

والثاني: أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد ٢/٤٩؛ ومسلم في كتاب الصوم، ح (١١٥٩)؛ والنسائي كتاب قيام الليل ٣/٢٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ٧/١٥٣؛ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، ح (٢٧٣٥)؛ وأبو داود في كتاب الصلاة، ح (١٤٨٤)؛ والترمذي في كتاب الدعوات، ح (٣٣٨٧)؛ ومالك في الموطأ كتاب القرآن ح (٢٩).

نقل ابن حجر في الفتح عن الإمام ابن الجوزي ١١/١٤١: اعلم أن دعاء المؤمن لا يُردّ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يُعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً. فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه، فإنه مُتَعَبَّد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض، اهـ. ولابن الجوزي كلام أطول من ذلك في بيان سبب تأخر الإجابة في كتابه «صيد الخاطر» ص ٦٨ فراجعه.

. والاجتهاد والتعسير. كما قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ما يُريد الله ليجعلَ عليكم من حرج﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدِّين من حرج﴾[3].

وكان النبي ﷺ يقول: «يسِّروا ولا تعسِّروا»[4]. وقال ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[5]. وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الأديان[6] أحبُّ إلى الله؟ قال: «الحنيفة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم ١/٢٥؛ ومسلم في كتاب الجهاد، ح (١٧٣٤)؛ وأبو داود في كتاب الأدب، ح (٤٨٣٥).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ١/٦١؛ وأبو داود في كتاب الطهارة، ح (٣٨٠)؛ والترمذي في كتاب الطهارة، ح (١٤٧).

(٦) قال ابن الجوزي: بَدْأُ الشرائع كان على التخفيف ولا يُعرف في شرع نوح وصالح وإبراهيم عليهم السلام تثقيل، ثم جاء موسى عليه السلام بالتشديد والاثقال وجاء عيسى عليه السلام بنحوه، وجاءت شريعة نبينا محمد ﷺ بنسخ تشديد أهل الكتاب ولا تنطق بتسهيل من كان قبلهم فهي على غاية الاعتدال. وفي هذا قوله تعالى: ﴿الذين يتّبعون =

السمحة»[1]. وفيه أيضاً عن مِحْجَن بن الأدرع[2] أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى رجلاً قائماً يصلي فقال: «أتراه صادقاً؟»، فقيل: يا نبي الله هذا فلان، وهذا من أحسن أهل المدينة ومن أكثر أهل المدينة صلاة. فقال: «لا تُسْمِعه فتُهلكه ـ قالها مرتين أو ثلاثاً ـ إنكم أمة أُريد بكم اليسر»[3]. وفي رواية أخرى له قال: «إن خير دينكم أيسره». وفي رواية

= الرسول النبي الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمُرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويُحرِّم عليهم الخبائث ويَضَع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم... الآية﴾ (الأعراف: ١٥٧).

(١) المسند ١/٢٣٦، وعلقه البخاري في كتاب الإيمان ١/١٥، وأخرجه أيضاً في الأدب المفرد من حديث ابن عباس ح (٢٨٧). ورجاله ثقات إلَّا داود بن حصين (أبو سليمان) أخرج له الستة وله في البخاري حديث فرد. وقال ابن المديني: ما روى عن عكرمة فمنكر، وهذا الحديث مروي عن عكرمة، فهو مرسل.

(٢) محجن بن الأدرع الأسلمي المدني. سكن البصرة وهو الذي اختطَّ مسجدها وعمَّر طويلاً وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «ارموا وأنا مع ابن الأدرع». توفي في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما (الإصابة ٥/٧٧٨ ت ٧٧٤٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن محجن بن الأدرع ٤/٣٣٨.

أخرى له قال: «إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة»[1]. وخرَّجه حُمَيد بن زِنْجُويَه وزاد فيه فقال ﷺ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملّوا، وعليكم بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[2].

وفي المسند عن بُريدة رضي الله عنه قال: خرجتُ فإذا رسول الله ﷺ فلحقته فإذا نحن بين أيدينا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود، قال: «أتراه يرائي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فترك يدي من يده ثم جمع بين يديه فجعل يصوّبهما ويرفعهما ويقول: «عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه»[3]. وقد روي من وجه آخر مرسلاً وفيه أن النبي ﷺ قال: «إن هذا آخذ بالعسر ولم يأخذ باليسر» [3] ثم دفع في صدره فخرج من المسجد ولم يُر فيه بعد ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن محجن بن الأدرع ٥/٣٢.

(٢) أخرج البخاري الشطر الأول من الحديث في كتاب الرقاق ٧/١٨٢؛ وأخرجه أبو داود في كتاب قيام الليل، ح (١٣٦٨)؛ والنسائي في كتاب الصلاة ٣/٢١٨ و ٢/٦٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن بريدة ٥/٣٥٠، والحاكم والبيهقي في السنن عنه أيضاً وقال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي. وقال =

وقد أنكر النبي ﷺ على من عزم التبتل والاختصاء وقيام الليل، وصيام النهار، وقراءة القرآن كل ليلة، كعبدالله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم، وقال: «لكن أصوم وأفطر وأقوم وأنام، وأتزوج

= الهيثمي: رجاله موثوقون، وقال ابن حجر في تخريج المختصر: إسناد أحمد حسن. ذكره المناوي في الفيض ٣٥٣/٤.

وقد نقل السيوطي ــ في زهر الربى ــ عند شرحه هذه العبارة من رواية النسائي عن ابن التين قوله: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أنَّ كل متنطع في الدين ينقطع. وليس المراد منه المنع من طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل المنع من الإفراط المؤدي إلى الملال والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته. كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم، إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح، اهـ.

وابن التِيْن هو أبو محمد عبدالواحد بن التين الصفاقسي المالكي الشيخ الإمام العلامة الهمام المحدِّث الرواية المفسر المتفنن المتبحر. له شرح على البخاري مشهور «المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح». له اعتناء زائد في الفقه، اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وكذلك ابن رشيد وغيرهما. توفي سنة ٦١١ بصفاقس (شجرة النور الزكية ١٦٨/١).

ونقل الحافظ ابن حجر هذه الكلمة في «الفتح» ٩٤/١، ونسبها إلى ابن المنير.

النســـاء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]. وانتهى بعبدالله بن عمرو أن يقرأ القرآن في كل سبع ، وفي رواية أنه انتهى به إلى قراءته في كل ثلاث، وقال ﷺ: «لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث»، وانتهى به في الصيام إلى صيام داود، وقال ﷺ: «لا صيام أفضل من ذلك»، وفي القيام إلى قيام داود عليه السلام[2].

□ معنى سدِّدوا وقاربوا:

فقوله ﷺ في حديث أبـي هريرة وعائشة رضي الله عنهما «**سَددوا وقاربوا**» المراد بالتسديد: العمل بالسَّداد، وهو القصد، والتوسط في العبادة فلا يقصِّر فيما أُمر بـه، ولا يتحمل منها مـا لا يطيقـه. قال النضـر بن شميل[3]:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب قيام الليل، ح (١٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ٢/٢٤٥؛ ومسلم في كتاب الصوم، ح (١١٥٩)؛ والنسائي في كتاب الصوم ٤/٢٠٩.

(٣) النضر بن شميل، أبو الحسن المازني البصري اللغوي، عالم أهل مرو. كان إماماً في العربية والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو وخراسان. مات في آخر يوم من سنة ثلاث ومائتين (التذكرة ١/٣١٤ ت ٢٩٣).

السداد: القصد[1] في الدين والسبيل. وكذا المقاربة والمراد التوسط بين الإفراط والتفريط، فهما كلمتان بمعنى واحدٍ أو متقارب. وهو المراد بقوله ﷺ في الرواية الأخرى: «عليكم هدياً قاصداً». وقوله ﷺ: «وأبشروا» يعني أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال. فإن طريق الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها، فمن سلكها فليبشر بالوصول فإن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في غيرها. «وخير الهدي هدي محمد ﷺ»[2]، فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره. وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية، لكن بكونها خالصة لله عز وجل صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها. فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه، وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل ممن ليس كذلك، وإن كان أكثر منه عملاً

---

(١) ذكر ذلك الأزهري في كتابه «تهذيب اللغة» عن شمر قال: والسداد: القصد والوفق والإصابة، ١٢/٢٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، ح (٨٦٧)؛ والنسائي في كتاب السهو ٣/٥٨؛ وابن حبان في صحيحه عن جابر، ح (٩)؛ والحاكم في مستدركه في كتاب العلم ١/١٠٣.

بالجوارح. وإلى هذا المعنى الإشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي ﷺ: «سدِّدوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدْخِل أحداً منكم عملُه الجنةَ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإنْ قل»[1]. فأمر بالاقتصاد في العمل وأن يضم إلى ذلك العلم بأحب الأعمال إلى الله، وبأن العمل وحده لا يُدخل الجنة.

□ بيان ما تفوَّق به الصحابة:

ولهذا قال بعض السلف: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره[2]. وقال بعضهم: الذي كان في صدر أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) وفي رواية مسلم ح (٢٨١٦)، «ولكن سددوا». ومعنى الاستدراك كما فسَّره العلامة القسطلاني: أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل، فكأنه قيل بل له فائدة، وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تُدخِل الجنة. فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب، وهو اتِّباع السنة من الإخلاص وغيره، ليُقبَل عملكم فتنزل عليكم الرحمة، اهـ. إرشاد الساري ٩/٢٦٦.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «النوادر» من قول بكر بن عبدالله المزني ٢٦١ باب ٢٢٠. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/٢٤: لم أجده مرفوعاً.

المحبة لله والنصحية لعباده. وقال طائفة من العارفين: ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة الأنفس وسلامة الصدر والنصيحة للامة[1]، زاد بعضهم: وبذم نفوسهم. وقال آخر منهم: إنما تفاوتوا بالإرادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلوات. وذُكر لأبي سليمان[2] طول أعمار بني إسرائيل وشدة اجتهادهم في الأعمال، وأن من الناس من غبطهم بذلك، فقال: إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده[3]. أو كما قال.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: أنتم أكثر صوماً وصلاة من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: وبما ذاك؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة[4]. يُشير إلى أن الصحابة رضي الله عنهم فاقوا

---

(١) رواه أبو نعيم بسنده إلى الفضيل بن عياض ٨/١٠٣.

(٢) أبو سليمان الدَّاراني: عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي نسبة إلى عنس بن مالك بن أود، وداريا قرية من دمشق. أحد الزهاد العلماء العارفين، توفي سنة خمس ومائتين (الصفوة ٤/٢٢٣ ت ٧٥٧)، (طبقات الأولياء ٣٨٧ ت ١٠٧).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي سليمان الداراني ٩/٢٦٣.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ١/١٣٦.

على من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة ورغبتهم فيها، وإعراضهم عن الدنيا بتحقيرها وتصغيرها وإن كانت في أيديهم، فكانت قلوبهم منها فارغة وبالآخرة ممتلئة. وهذه الحال ورثوها من نبيهم ﷺ، فإنه كان أَشَد الخَلْقِ فراغاً قلبه من الدنيا وتعلقه بالله والدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا. وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده، وكذلك أعيان التابعين لهم بإحسان كالحسن وعمر بن عبدالعزيز، وقد كان في زمانهم من هو أكثر منهم صوماً وصلاةً، ولكن لم يصل قلبُهُ إلى ما وصلت إليه قلوب هؤلاء من ارتحالها عن الدنيا وتوطّنها في الآخرة[1].

---

(١) وقد نقل أبو داود في سننه في كتاب السنن، ح (٤٦١٢)؛ كلمة نفيسة للخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز في التدليل على هذا المعنى، قال:

كتب رجل إلى عمر بن عبدالعزيز يسأله عن القدر. فكتب: أما بعد، **أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ**، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكُفُوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة. ثم أعلم أنه لم يبتدع الناس بدعةً إلاَّ قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق. فارضَ لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، =

□ قاعدة جليلة:

فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواصُّ أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية، فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان.

جاء رجل إلى بعض العارفين فقال له: قطعتُ إليك مسافة، فقال له: ليس هذا الأمر بقطع المسافات، فارِق نفسك بخطوة وقد حصل لك مقصودك. وقال أبو يزيد[1]:

= وببصر نافذ كفّوا، ولَهُمْ على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، ما أحدثه إلاَّ من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون. فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصِّر وما فوقهم من مَحْسَر. وقد قصَّر قومٌ دونهم فَجَفَوْا، وطمح عنهم قوم فَغَلَوْا، وإنهم بين ذلك لعلى هدىً مستقيم، اهـ.

(١) أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي، وبِسطام بالكسر بلدة على طريق نيسابور، الزاهد الورع مات سنة إحدى وستين وقيل أربع وستين ومائتين (طبقات الأولياء ٣٩٨ ت ١٠٨)، (طبقات الصوفية ٦٧ ت ٨).

رأيت رب العزة في المنام فقلت له: يا رب كيف الطريق إليك؟ قال: أترك نفسك وتعالَ[1].

ما أُعْطيتْ أمَّة ما أعطيت هذه الأمة ببركة متابعة نبيها ﷺ حيث كان أفضل الخلق، وهديه أكمل الهدي مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع به من الآصار والأغلال عن أمته. فمن أطاعه فقد أطاع الله، وأحبه الله واهتدى بهدى الله.

□ بيان جملة من التيسير في التشريع:

فمن جملة ما حصل لأمته ببركته وتيسير شريعته أنّ من صلى منهم العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله[2]. فيكتب له قيام ليلة وهو نائم على فراشه، لا سيما إن نام على طُهرٍ وذِكرٍ حتى تغلبه عيناه[3]. و«من صام منهم ثلاثة أيام من

---

(١) ذكره ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة، في ترجمة أبي يزيد البسطامي ٤/١١١ ت ١٧٩.

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله». رواه مسلم في كتاب المساجد ح (٦٥٦).

(٣) أشار إلى قوله ﷺ: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي في الليل =

كل شهر فقد صام الشهر كله»[1]، فهو صائم لبقية الشهر في مضاعفة الله، ومفطر له في رخصة الله، و «الطاعم الشاكر له أجر الصائم الصابر»[2]. ومن نوى أن يقوم من الليل فغلبته عيناه فنام كتب له ما نوى، وكان نومه عليه صدقة.

وقال أبو الدرداء: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يسبقون سهر الحمقى وصيامهم[3]. ولهذا جاء في

= فغلبته عينيه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه».

رواه أبو داود في كتاب الصلاة، ح (١٣١٤)؛ والنسائي في قام الليل ٣/٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ح (١٣٤٤)؛ ومالك في الموطأ كتاب صلاة الليل ح (١).

قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/٣٣٨: صحيح الإسناد.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ٢/٢٤٥؛ ومسلم في كتاب الصوم، ح (١١٥٩)؛ وأبو داود بزيادة لفظ ورمضان إلى رمضان ح (٢٤٢٥)؛ وأخرجه الترمذي في كتاب الصوم، ح (٧٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، ح (٢٤٨٦)؛ وابن ماجه في كتاب الصوم، ح (١٧٦٥)، وفي الزوائد إسناده صحيح؛ والدارمي في كتاب الأطعمة ٢/٤٥١؛ وأخرجه الحاكم ٤/١٣٦.

(٣) رواه أبو نعيم عن أبي الدرداء في الحلية ١/٢١١. قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين، ولم أجده مرفوعاً.

الحديث الصحيح: «رُبَّ قائم حظُّه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش»[1]. رواه الطبراني وأحمد بن حنبل. وقال بعضهم: **كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا مستغفر وقلبه فاجر، وهذا ساكت وقلبه ذاكر.** وقال بعضهم: ليس الشأن فيمن يقوم الليل، إنما الشأن فيمن ينام على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب وفي ذلك قيل:

من لي بمثل سيرك المدلل
تمشي رويداً وتجيء في الأول

□ معنى الغدوة والروحة والدلجة وأوقاتها وفضائلها:

قوله ﷺ: «**اغدوا ورُوحوا وشيء من الدُّلجة**» كقوله في الرواية الأخرى: «استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

يعني أن هذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات وهي آخر الليل وأول النهار وآخره. وقد ذكر

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الصيام، ح (١٦٩٠)؛ والدارمي في كتاب الرقائق ٢/٦٩٧؛ والإمام أحمد في مسنده ٢/٣٧٣ ـ ٤٤١، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون، مجمع الزوائد ٣/٢٠٢.

الله هذه الأوقات في قوله تعالى: ﴿واذكر إسم ربك بُكرةً وأصيلاً * ومن الليل فاسجد له وسبِّحه ليلاً طويلاً﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبِّح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وسبِّح بحمد ربكَ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبِّحه وأدبار السجود﴾[3].

وذكَرَ الله تعالى الذِّكر في طرفي النهار في مواضع كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا الله ذِكراً كثيراً * وسبحوه بُكرةً وأصيلاً﴾[4]. وقال تعالى: ﴿واستغفر لذنبِكَ وسبِّح بحمد ربِّكَ بالعَشِيِّ والإبكار﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعونَ رَبَّهم بالغَداةِ والعَشِيِّ يُريدونَ وجهَهُ﴾[6]. وقال تعالى ـ في ذِكْرِ زكريا عليه

---

(١) سورة الدهر: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٣) سورة ق: الآيتان ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب: الآيتان ٤١ ـ ٤٢.

(٥) سورة غافر: الآية ٥٥.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

السلام ـ[1]: ﴿فأوحى إليهم أن سبِّحوا بُكرةً وعَشِيًّا﴾[2].
وقال تعالى: ﴿وسبِّح بالعَشِيِّ والإبكار﴾[3].

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان وهما أول النهار وآخره، يجتمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع. فأما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما أفضل الصلوات الخمس، وهما البَرْدان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة[4]، وقد قيل في كل منهما أنها الصلاة الوسطى[5]. وأما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد

---

(١) في جميع النسخ وردت الجملة قبل قوله تعالى: ﴿ولا تطرد﴾ الآية والصحيح ما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) سورة مريم: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤١.

(٤) أشار إلى قوله ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة».
رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ١/١٤٣ ـ ١٤٤؛ ومسلم في كتاب المساجد، ح (٦٣٥)؛ والنسائي في كتاب الصلاة ١/٢٤١. وسُميا بردان لأنهما في بردي النهار أي طرفيه.

(٥) كما قال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾، وقد فُسِّرت الصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر. أورد ذلك البخاري في كتاب التفسير ٥/١٦٢؛ ومسلم في كتاب المساجد، ح (٦٢٧)؛ وأصحاب السنن الأربعة في كتاب الصلاة، باب صلاة العصر. =

صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس. وقد وردت في فضله نصوص كثيرة، وكذلك وردت النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء، وفي فضل من ذَكَر الله حين يصبح وحين يمسي.

وقد روي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «ابن آدم اذكرني ساعة من أول النهار وساعة من آخره أغفر لك ما بين ذلك إلاَّ الكبائر أو تتوب منها»[1]. وكان السلف لِآخِرِ النهار أشد تعظيماً من أوَّله. قال ابن المبارك: بلغنا أنه من ختم نهاره بذكر الله كُتب نهاره كله ذكراً. وقال أبو الجَلْد[2]: بلغنا أن الله تعالى ينزل مساء

= وأما ما ورد في أن صلاة الفجر هي الصلاة الوسطى فلقد رواه الترمذي في كتاب الصلاة، ح (١٨١ ـ ١٨٢)؛ وأخرجه مالك في الموطأ كتاب صلاةالجماعة، ح (٢٨). وقال الترمذي: قال ابن عباس وابن عمر الصلاة الوسطى صلاة الصبح.

(١) رواه أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه ٨/٢١٣.

(٢) أبو الجلد: جيلان بن فروة. ويقال ابن أبي فروة الأسدي البصري صاحب كتاب التوراة ونحوها. قال أحمد: أبو الجلد ثقة.
(الكنى للدوالبي ١/١٣٩)، (التاريخ الكبير للبخاري ٢/٢٥٠ ت ٢٣٦٣)، (الجرح والتعديل ٢/٥٤٧ ت ٢٢٧٥).

كل يوم إلى السماء الدنيا[1] ينظر إلى أعمال بني آدم. ورأى بعض السلف أبا جعفر القارىء[2] في المنام فقال له: قل لأبي حازم ـ يعني الأعرج الزاهد الكَيِّس[3] ـ إنَّ الله وملائكته يتراؤن مجلسك بالعشيات[4]. والظاهر أن أبا حازم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٩٧/٨، وفي كتاب التهجد ٤٧/٢، وفي كتاب الدعوات ١٤٩/٧؛ وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة والمسافرين، ح (٧٥٨)؛ وأبو داود في كتاب الصلاة، ح (١٣١٥)؛ والترمذي في كتاب الدعوات، ح (٣٤٩٨)؛ ومالك في الموطأ كتاب القرآن، ح (٣٠).

(٢) أبو جعفر القارىء المدني المخزومي مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، اسمه يزيد بن القعقاع. أحد القراء العشرة وإمام أهل المدينة في القراءة لذا عرف بالقارىء. قال نافع: لما غُسِّل أبو جعفر بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، قال: فما شك أحد ممن حضر أنه من نور القرآن. توفي سنة سبع وعشرين ومائة. (التهذيب ٥٨/١٢ ت ٢٢٥).

(٣) أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي مولاهم المدني الأعرج التمار الواعظ الزاهد. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيهِ من أبي حازم. كان ثقة فقيهاً فارسياً أمه رومية توفي في خلافة المنصور سنة أربعين ومائة. (التذكرة ١٣٣/١ ت ١١٩)، (الصفوة ١٥٦/٢ ت ١٨٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في كتابه صفوة الصفوة في ترجمة أبي حازم الأعرج ١٦٧/٢ ت ١٨٥.

كان يقصُّ على الناس آخر النهار. وقد جاء في الحديث: «إنَّ الذِّكر بعد الصبح أحب من أربع رقاب، وبعد العصر أحب من ثمان رقاب»[1]. وأيضاً فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله لِمَا يُرجى في آخره من ساعة الإجابة[2]، ويوم عرفة آخره أفضل من أوله لأنه وقت الوقوف، وكذلك آخر الليل أفضل من أوله كذا قال السلف، واستدلوا بحديث النزول الإلهي. وهذا كله مما يُرجح به قول من قال إن صلاة العصر هي الوسطى.

وأما الوقت الثالث فهو الدُّلجة. والإدلاج: سير آخر الليل، والمراد به ها هنا العمل في آخر الليل وهو وقت

---

(١) رواه أحمد بمعناه عن أبي أمامة ٥/٢٥٤؛ ورواه الطبراني عن أبي أمامة أيضاً، وقال الهيثمي: أسانيد الحديث حسنة، مجمع الزوائد ١٠/١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ١/٢٢٤؛ ومسلم في كتاب الجمعة، ح (٨٥٢)؛ والترمذي في كتاب الجمعة، ح (٤٩٠)؛ وأبو داود في كتاب الصلاة، ح (١٠٤٨).

ورواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلَّا أعطاه إيَّاه».

الاستغفار، كما قال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأَسْحَار﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾[2]. وهو آخر أوقات النزول الإلهي المتضمن لاستعراض حوائج السائلين، واستغفار المذنبين، وتوبة التائبين، وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم، وآخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم. من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقلَّ من مشاركة المذنبين في الاعتذار.

ورد في بعض الآثار: أن العرش يهتز من السَّحَر. قال طاووس: ما كنت أظن أن أحداً ينام في السحر[3]. وفي الحديث الذي خرَّجه الترمذي: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل»[4]. سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(٢) سورة الذاريات: الآية ١٨.

(٣) رواه ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٢/٢٨٥؛ ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/٦.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، ح (٢٤٥٠)؛ وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه الحاكم في الرقاق عن أبي هريرة، وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

الدنيا والآخرة، ولهذا في الحديث الذي خرَّجه مسلم: «إذا سافرتم فعليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل»[1].

قال بعض الفضلاء:

اصبر على مضض الإدلاج في السَّحَر
وفي الرَّواح على الطَاعَاتِ والبُكَرِ
لا تضجَرَنَّ ولا يُعجزكَ مطلبها
فالهمّ يتلَف بين اليأس والضجَرِ
إني رأيتُ وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثرِ
وقُلْ مَنْ جَدَّ في أَمْرٍ تَطلَّبه
واستَصْحَبَ الصَّبر إلَّا فازَ بالظفرِ

وقد روي أن الأشتر[2] دخل على علي بن أبي طالب

---

(١) الحديث لم أجده عند مسلم، ولكن أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، ح (٢٥٧١)؛ ورواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه في كتاب المناسك ١/٤٤٥، وكتاب الجهاد ٢/١١٤. وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي.

(٢) الأشتر: مالك بن الحارث بن عبديغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث النخعي الكوفي المعروف بالأشتر. أدرك الجاهلية وذكره ابن سعد في =

رضي الله عنه بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي. فقال: يا أمير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك! فلما فرغ من صلاته قال: سفر الآخرة طويل فيُحتاج إلى قطعة بسير الليل ــ وهو الإدلاج ــ.

كانت امرأة حبيب ــ أبي محمد الفارسي ــ توقظه بالليل وتقول: قم يا حبيب فإن الطريق بعيد وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت من بين أيدينا ونحن قد بقينا.

يا نائماً بالليل كم ترقد
قُم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخُذ من الليل أوقاته
ورداً إذا ما هَجَعَ الرُّقَّدُ
من نام حتى ينقضي ليله
لم يبلغ المنزل أو يجهدُ

= الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة. ولاّه علي رضي الله عنه مصر فلما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات. شهد اليرموك وذهبت عينه، توفي في شهر رجب سنة سبع وثلاثين وروي أن علياً نعاه إلى قومه وأثنى عليه ثناءً حسناً (التهذيب ١٠/١١ ت ٨).

□ معنى القصد في السير:

وقوله ﷺ: «**القصد القصد تبلغوا**» حثٌّ على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير، ولذلك كرره مرة بعد مرة. وفي مسند البزَّار من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أحسن القصد في الفقر، وما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في العبادة»[1]. وكان لمُطَرِّف ابن عبدالله بن الشِّخِّير[2] ابنٌ قد اجتهد في العبادة، فقال له أبوه: خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السيئتين، وشرُّ السير الحقحقة[3].

---

(١) رواه البزار من رواية سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب. ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلَّا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوي عنه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٢٥٢.

(٢) مطرف بن عبدالله بن الشخير، أبو عبدالله العامري الحرشي البصري. كان رأساً في العلم والفضل والأدب والورع، وكان مجاب الدعوة. ذكر ابن حبان أنه ولد في حياة النبي ﷺ، وتوفي في عهد الحجاج سنة خمس وسبعين. (التهذيب ١٠/١٧٣ ت ٣٢٤)، (التذكرة ١/٦٤ ت ٥٤)، (مجابي الدعوة ص ٨٥ ــ ٨٧).

(٣) ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة»، ص ٢٠٥، وعزاه لابن جرير الطبري في التفسير من قول مطرف. وكذا عزاه للبيهقي عن مطرف، وللعسكري عن الأوزاعي ولأبي يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه.

قال أبو عبيدة[1]: يعني أن الغلو في العبادة سيئة، والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة، قال: والحقحقة أن يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعاً به سفره[2]، انتهى. ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: «إنَّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق[3]

---

(١) أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى التيميمي البصري اللغوي الحافظ صاحب التصانيف. ذكره ابن المديني وصحح رواياته. مات سنة عشر ومائتين وقيل سنة تسع (التذكرة ١/٣٧١ ت ٣٦٧).

(٢) ذكرها الأزهري في تهذيب اللغة بلفظ «وشر السير الحقحقة». وقال أبو عبيدة: الحقحقة: المتعب من السير ٣/٣٨٣، في (حق). وذكر ابن السكيت في تهذيب الألفاظ. قال: القحقحة والحقحقة والهقهقة والقهقهة. كله في شدة السير، ص ٦٧٨.

(٣) هذا الشطر أخرجه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه ٣/١٩٩. ونقل المناوي في الفيض (٢/٥٤٤) عن الغزالي قوله: أراد بهذا الحديث أن لا يكلف نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة، بل يكون بتلطف وتدريج. فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبدل، فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئاً فشيئاً، حتى تنفصم تلك الصفات المذمومة الراسخة فيه. ومَنْ لم يراع التدريج وتوغل دفعة واحدة ترقى إلى حالة تشق عليه فتنعكس أموره، فيصير =

ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإنَّ المنبتَّ لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى. فاعمل عمل امرىء يظن أنه لن يموت إلاَّ هَرِماً، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غداً» أخرجه حُمَيْد بن زِنْجُويه[1] وغيره[2]. وفي تكريره أمره بالقصد إشارة إلى المداومة عليه فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة

= ما كان محبوباً عنده ممقوتاً، وما كان مكروهاً عنده مشرباً هنيئاً لا ينفر عنه.

وهذا لا يُعرف إلاَّ بالتجربة والذوق. وله نظير في العادات، فإن الصبي يُحمل على التعليم ابتداء قهراً، فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم. حتى إذا انفتحت بصيرته وأنِس بالعلم انقلب الأمر، فصار يشق عليه الصبر عن العلم، اهـ.

(١) حميد بن زنجويه: الحافظ البارع أبو أحمد الأزدي النسائي اسم أبيه مَخْلَد بن بقيَّة، قال أبو عبيد: ما قدم علينا من فتيان خراسان مثل ابن زنجويه وهو ثقة، وهو الذي أظهر السنة. مات سنة إحدى وخمسين ومائتين (التذكرة ٢/٥٥٠ ت ٥٧٠).

(٢) خرَّجه البيهقي في السنن، باب القصد في العبادة والجهد في المداومة ٣/١٩. ولقد استوفى الكلام على الحديث المحدِّث الشيخ أحمد بن الصِّدِّيق الغماري رحمه الله تعالى في رسالته «سبل الهدى في إبطال حديث اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا» فتكلم على أسانيده وتوجيه معناه بما لا مزيد عليه، فليُراجع.

والانقطاع. والقصد أقرب إلى الدوام، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ كما قال: «من أدلج بلغ المنزل».

فالمؤمن في الدنيا يسير إلى ربه حتى يبلغ إليه، كما قال تعالى: ﴿يا أيُّها الإنسان إنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فملاقِيْه﴾[1]، وقال تعالى: ﴿واعبدْ ربَّكَ حتى يأتيكَ اليقين﴾[2].

قال الحسن: يا قوم، المداومة المداومة فإنَّ الله يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثم تلى هذه الآية. وقال أيضاً: نفوسكم مطاياكم فأصلحوا مطاياكم تُبلِّغكم إلى ربكم عز وجل. والمراد بإصلاح المطايا: الرفق بها، وتعاهدها بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها، فإذا أحسّ بها بتوقف في السير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخويف حتى تسير. قال بعض السلف: الرجاء قائد والخوف سائق، والنفس بينهما كالدابة الحَرُون[3]. فمتى فتر قائدها وقصَّر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بها

---

(١) سورة الانشقاق: الآية ٦.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٩.

(٣) الدابة الحرون: التي وقفت ورفضت الانقياد.

والحدو[1] لها حتى يطيب لها السير. كما قال حادي الإبل بالوادي:

بَشِّرها دليلها وقال لها
غداً تَرَيْن الطلح والجبالا

ولما كان الخوف كالسَّوط فمتى ألحَّ بالضرب بالسوط على الدابة تلفت، فلا بد لها مع الضرب من حادي الرجاء يطيِّب لها السير بحدائه حتى تقطع. قال أبو يزيد: ما زلت أقود نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك[2]. كما قيل:

إذا شكت من كلال السير أوعدها
روح القدوم فتحيا عند ميعاد

□ سلوك صراط الله عز وجل:

قال خليد العَصَري[3]: إنَّ كل حبيب يحب أن يلقى

---

(١) الحدو: الإنشاد والغناء، وهو عادة الرعاة عندما يسوقون إبلهم.

(٢) ذكره ابن الملقِّن في طبقات الأولياء في ترجمة أبي يزيد ٣٩٩ ت ١٠٨.

(٣) خليد العَصَري: ابن عبدالله يكنى بأبي سليمان مولى لأبي الدرداء رضي الله عنه، ذكره ابن حبان في الثقات. وعصر بطن من عبدقيس (التهذيب ٣/١٥٩ ت ٣٠٢).

حبيبه فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيراً جميلاً لا مصعداً ولا مميلاً، فغاية السير يوصل المؤمن إلى ربه ومن لا يعرف الطريق إلى ربه لم يسلك إليه فيه، فهو والبهيمة سواء[1]. قال ذو النون[2]: السفلة من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرَّفه[3].

والطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: الصراط المستقيم، تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جَوَادَّ[4] وعن يساره جَوَادَّ، وثَمَّ رجال يدعون من

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/٢٣٢.

(٢) ذو النون: ابن إبراهيم المصري الإخميميّ أبو الفيض أحد رجال الحقيقة، قيل اسمه ثوبان أو فيض، وقيل: ذو النون لقبه. قال ابن الجلاد: لقيت سبعمائة ما لقيت فيهم مثل أربعة، أحدهم ذو النون. توفي بالجيزة سنة خمس وأربعين ومائتين (طبقات الأولياء ٢١٨ ت ٤١)، (الحلية ٩/٣٤١).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/٣٧٢.

(٤) قال في النهاية: «الجوادّ» الطُّرق، واحدها «جادّة»، وهي سواء الطريق ووسطه.

مرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجَوَادَّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ: ﴿وأَنَّ هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبِعُوه ولا تَتَّبِعُوا السُّبُل فتَفرَّقَ بكم عن سَبيله﴾، خرجه ابن جرير وغيره[1]. فالطريق الموصل إلى الله واحد، وهو صراطه المستقيم، وبقيَّة السُّبل كلها سبل الشيطان، مَنْ سلكها قطعت به عن الله، وأوصلته إلى دار سَخَطه وغضبه وعقابه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/٢٣٠.

وروي مرفوعاً عن عبدالله بن مسعود أيضاً قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرق بكم عن سبيله﴾.

خرَّجه ابن ماجه في المقدمة، ح (١١)؛ وأحمد في مسنده ١/٤٣٥ و٤٦٥؛ والحاكم في كتاب التفسير في سورة الأنعام الآية ١٥٣، ٢/٣١٨. قال الهيثمي في المجمع ٧/٢٢: رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بَهْدَلة وهو ثقة وفيه ضعف. وعاصمٌ هذا هو عاصم بن أبي النَّجود شيخ القراء بالكوفة وأحد القراء السبعة الإمام الكبير، قال الذهبي في الميزان ٢/٣٥٧: ثبت في القراءة، وهو في الحديث دون الثبت، صدوق يهم.

□ الأعمال بالخواتيم:

فربما سلك الإنسان في أول أمره على الصراط المستقيم، ثم ينحرف عنه في آخر عمره فيسلك بعض سبل الشيطان فينقطع عن الله فيهلك. «إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكونَ بينه وبينها إلاَّ ذراع أو باع، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار»[1]. وربما سلك الرجل أولاً بعض سبل الشيطان ثم تدركه السعادة فيسلك الصراط المستقيم في آخر عمره فيصل به إلى الله. والشأن كل الشأن في الاستقامة على الصراط المستقيم من أول السير إلى آخره، ﴿ذلكَ فَضْلُ اللَّـهِ يؤتيهِ من يشاء﴾[2]، ﴿واللَّـهُ يدعو إلى دار السَّلامِ ويَهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾[3]. ما أكثر من يرجع أثناء الطريق وينقطع، فإن

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر ٧/ ٢١٠؛ وأخرجه مسلم في كتاب القدر، ح (٢٦٤٣)؛ وأبو داود في كتاب السنة، ح (٤٧٠٨).

(٢) سورة الجمعة: الآية ٤.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٥.

القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمٰن[1]، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الذين آمنُوا بالقولِ الثابِتِ﴾[2].

خَلِيليَّ قُطَّاع الفيافي إلى الحما
كثيرُ وأما الواصلون قليل

□ فضل تقرب العبد إلى الله عز وجل:

وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله عز وجل: «من تقرّب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[3]. وفي المسند[4]: «والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل». وفيه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، ح (٢٦٥٤)؛ والترمذي في كتاب القدر، ح (٢١٤٠)؛ ورواه الحاكم في الدعاء ١/٥٢٥، وفي الرقاق ٤/٣٢١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٨/١٧١؛ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، ح (٢٦٨٧)، وفي كتاب التوبة، ح (٢٧٤٣).

(٤) أي زيادة على ما في الرواية السابقة. وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر الغفاري ٥/١٥٥؛ والطبراني وإسنادهما حسن كما قال الهيثمي في المجمع ١٠/١٩٧.

أيضاً، يقول الله تعالى: «ابن آدم قم إليَّ أمشِ إليك، وامشِ إليّ أهرول إليك»[1].

مَنْ أَقْبَلَ إلينا تَلَقَّيناه من بعيد
من أراد مرادنا أردنا ما يُريد
من سَأَلنا أعطيناه فوق المزيد
من عمل بقوَّتنا ألنَّا له الحديد

يا هذا لو أنك قصدت باباً إلى الشُّرْطة[2] لَمَا أقبل إليك ولا تلقَّاك، وربما حجبك عن الوصول إليه وأقصاك، وملك الملوك يقول: «من أتاني يمشي أتيته أهرول»، وأنت عنه معرض وعلى غيره مقبل، لقد غُبنت أفحش الغبن وخسرت أكبر الخسران.

واللَّهِ ما جئتكم زائراً
إلَّا وجدتُ الأرض تُطوى لي
ولا ثَنيت العزم عن بابكم
إلَّا تعثَّرتُ بأذيالي

---

(١) رواه أحمد من طريق شريح ٤٧٨/٣، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير شريح وهو ثقة، المجمع ١٩٧/١٠.

(٢) قال في المختار: سُمي «الشُّرَط» لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، الواحد «شُرْطة» و«شُرْطي» بسكون الراء فيهما.

يا معشر المريدين قد وضح الطريق فما هذا التأخر عن السلوك والتعويق؟

لقد وضح الطريق إليكَ حقاً
فما خَلْقٌ أرادكَ يستدل

﴿أَفِي اللَّهِ شكٌ فَاطِرِ السمٰوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذُنوبكم﴾[1]، ﴿يا قومنا أجيبوا داعِيَ الله﴾[2].

يا نفسُ ويحكِ قد أتاكِ هداكي
أجيبي فهذا داعي اللَّه قد ناداكي

كم قد دعيتِ إلى الرشاد فتعرضي
وأجبت داعي الغيِّ حين دعاكي

□ أنواع الوصول إلى الله تعالى:

الوصول إلى الله نوعان: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة. فأما الوصول الدنيوي فالمراد به: أن القلوب

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣١.

تصل إلى معرفته، فإذا عرفته أحبته، وأَنِست به، فوجدته منها قريباً ولدعائها مجيباً. كما في بعض الآثار: ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدتَ كل شيء، وإن فِتُّكَ فاتك كل شيء.

برزَ المرسوم منّا ... لا نُخيب قَطُّ ظنا
فاطلبونا تجدونا ... في قلوب قد تسعنا
صابرات راضياتٍ ... بالذي قد يصدر عنّا

كان ذو النون يخرج بالليل فيردد نظره في السماء ويردد هذه الأبيات حتى يصبح[1]:

اطلبوا لأنفسكم ... مثل ما وجدت أنا
قد وجدتُ لي سكناً ... ليس في هواه عَنَا
إنْ بعدتُ قربني ... أو قربت منه دنا

وأما الوصول الأخروي فالدخول إلى الجنة التي هي دار كرامة الله لأوليائه، ولكنهم في درجاتها متفاوتون في القرب بحسب تفاوت قلوبهم في الدنيا في القرب والمشاهدة. قال تعالى: ﴿وكُنتم أزوجاً ثلاثة * فأصحابُ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٣٧٢/٩.

الميمنةِ ما أصحابُ الميمنة * وأصحابُ المشأمةِ ما أصحاب المشأمة * والسَّابقون السابقون أولئك المقرَّبون﴾[1].

كان الشبلي[2] يهيج في داره وينشد ويقول:

على بُعدكَ لا يُصبر ... مَنْ عادته القربُ
ولا يقوى على حجبك ... من تيَّمه الحبُّ
فإنْ لم تَرَكَ العين ... فقد أبصركَ القلبُ

□ حال من التزم الإسلام أو الإيمان أو الإحسان:

الصراط المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاثة درجات: درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان. فمن سلك درجة الإسلام إلى أن يموت عليها منعته من الخلود في النار، ولم يكن له بد من دخول الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه. ومن سلك على درجة الإيمان إلى أن يموت عليها منعته من دخول النار بالكلية، فإن نور الإيمان

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧ ــ ١١.

(٢) الشبلي: شيخ الصوفية أبو بكر دُلَف بضمة ثم فتحة ابن جحدر، واختلف في اسمه واسم أبيه. وشبلي نسبة إلى قرية من قرى أُسْرُوسنة يقال لها الشبلية من خراسان. توفي في بغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (الأنساب للسمعاني ٧/٢٨١).

يطفىء لهب نار جهنم حتى تقول: «يا مؤمن جُز فقد أطفأ نورُك لهبي»[1]. وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلَّا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم»[2]. هذا ميراث ورثة المحبون من حال أبيهم إبراهيم عليه السلام.

ففي نار المحبِّ نارُ هَوَى
أحر نارِ الجحيم أبردُها

ومن سلك على درجة الإحسان إلى أن يموت عليها وصل بعد الموت إلى الله ﴿للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة﴾[3]. وفي الحديث الصحيح: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيِّض وجوهنا؟ ألم

---

(١) رواه الطبراني عن يعلى بن منبه عن النبي ﷺ وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف، المجمع ١٠/٣٦٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٢٨ ـ ٣٢٩. قال الهيثمي: ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ١٠/٣٦٠. وبهذا يتقوى الحديث الأول.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٦.

يثقِّل موازيننا؟ ألم يُدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيَكْشِف الحجاب فينظرون إليه، فواللَّهِ ما أعطاهم الله شيئاً أحبّ إليهم، ولا أقرَّ لأعينهم من النظر إليه. وهو الزيادة، ثم تلا: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[1].

كل أهل الجنة يشتركون في الرؤية لكن يتفاوتون في القرب في حال الرؤية وفي أوقات الرؤيا. عموم أهل الجنة يرون يوم المزيد وهو يوم الجمعة[2]، وخواصهم ينظرون إلى وجه الله في كل يوم مرتين بكرةً وعشياً. وعموم أهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً، وخواصهم يرون الله بكرةً وعشياً. العارفون لا يسليهم عن محبوبهم قصر

---

(١) أخرجه مسلم بمعناه في كتاب الإيمان، ح (١٨١)؛ وأخرجه الترمذي بلفظه في كتاب صفة الجنة، ح (٢٥٥٢)؛ وابن ماجه في المقدمة، ح (١٨٧).

فائدة: قال النووي في شرحه على مسلم ٢/١٠٥: قد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة.

(٢) أخرجه البزاء والطبراني والبيهقي والدارقطني وأبويعلى وابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه وقال الهيثمي ٢ / ١٦٤: رجال الطبراني ثقات.

ولا يرويهم دونه نهر. كان بعضهم يقول: إذا جعتُ فَذِكْرُهُ زادي، وإذا عَطِشتُ فمشاهدته سُؤْلي ومرادي[1].

رُؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حال رجلين من العلماء؟ فقال: تركتهما الآن بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان ويتنعمان. قيل له: فأنت؟ قال: عَلِمَ قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه.

---

(١) قال العلَّامة ابن أبـي العز الحنفي في شرحه على «العقيدة الطحاوية» ص ٢١٣: اتفقت الأمة على أنه لا يراه ــ أي الله ــ أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك، إلَّا في نبينا ﷺ خاصة. منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، اهـ.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: أما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا، اهـ. شرح مسلم ٢/١٠٥.

وقال الإمام تاج الإسلام الكلاباذي في كتابه «التعرف لمذهب أهل التصوف»، ص ٤٣: وأجمعوا أنه ــ أي الله تعالى ــ لا يُرى في الدنيا: بالأبصار ولا بالقلوب إلَّا من جهة الإيقان، لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلَّا في أفضل المكان ولو أعطوا في الدنيا أفضل النعم لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق، اهـ.

ولعل بهذا يتّضح معنى هذا الكلام الذي ساقه المؤلف رحمه الله.

أنت ريِّـي إذا ظمأت إلى الماء
وقــوتـي إذا أردت الــطعــامــا

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه. وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين»(١). وخرَّجه الترمذي ولفظه: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(٢). ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، حديث جرير بن عبدالله البَجَلي: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضَامُون في رؤيته». قال: «فإن استطعتم أن لا تُغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

---

(١) رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى عن ابن عمر في أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه، مجمع الزوائد ١٠/٤٠١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة، ح (٢٥٥٣)؛ وفي كتاب تفسير القرآن، ح (٣٣٣٠)؛ وقال: هذا حديث غريب.

فافعلوا، ثم قرأ ﴿فسبِّح بحمدِ ربِّك قبل طلوع الشمسِ وقبل الغروب﴾[1].

□ فضل وَقْتَي الغَدَاة والعَشِي والمقصود بهما:

ولمّا كان هذان الوقتان في الجنة وقتان للرؤية في حق خواصِّ أهل الجنة، حَضَّ ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا. فمن حافظ على هاتين الصلاتين في الدنيا في هذين الوقتين وصلَّاهما على أكمل وجوههما وخشوعهما وحضورهما وأدبهما، فإنه يُرجى له أن يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين في الجنة. لا سيما إنْ حافظ بعدهما على الذكر وأنواع العبادات حتى تطلع الشمس أو تغرب، فإن وصل العبد ذلك بدلجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الأوقات الثلاثة، وهي: الدلجة، والغدوة، والروحة، فيوشك أن يعقبه الصدق في هذا السير الوصول الأعظم إلى ما يطلبه ﴿في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ

---

(١) رواه البخاري في كتاب المواقيت ١/١٤٣، وفي كتاب التوحيد ٨/١٧٩؛ ورواه مسلم في كتاب المساجد، ح (٦٣٣)؛ وأبو داود في كتاب السنة، ح (٤٧٢٩)؛ والترمذي في كتاب الجنة، ح (٢٥٥١ ـ ٢٥٥٤).

مقتدر﴾[1]. من لزم الصدق في طلبه أدّاه الصدق إلى مقعد الصدق. ﴿وبشِّر الذين آمنوا أنَّ لهم قَدَمَ صدقٍ عند ربهم﴾[2].

المحب لا يقطع السؤال عمن يحب ويتحسس الأخبار ويتنسم الرياح ويستدل بالآثار لسلوكِ الطريق إلى محبوبه.

أسائلكم عنها فهل من مخبر
فما لي بنعم بُعدُ مكتنَا علم
فلو كنتُ أدري أين خيَّم أهلها
وأيُّ بلادِ اللَّه إذا ظعنوا أمُّوا
إذاً لسلكنا مسلك الريح خلفَها
ولو أصبحت نعم ومن دونها النجمُ

لقد كَبَّرت همة الله مطلوبها وشرَّفت نفس الله محبوبها: ﴿ولا تطرد الذين يَدْعُون ربَّهم بالغداة والعَشِي يُريدون وجهه﴾[3].

ما للمحب سوى إرادة حُبِّه
إنَّ المحب بكلِّ بر يُصرع

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

□ حال من ركن إلى الآخرة ومن ركن إلى الدنيا:

قيمة كل امرىء ما يطلب، فمن كان يطلب الله فلا قيمة له من طلب الله فهو أجلّ من أن يقوَّم، ومن طلب غيره فهو أخسّ من أن يكون له قيمة. قال الشِّبْلي. مَنْ ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها فصار رماداً تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها فصار سبيكة ذهب يُنتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له.

لـه هِمم لا منتهى لِكبارهـا
وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

سُئل الشبلي: هل يقنع المحب بشيء من حبيبه قبل مشاهدته؟ فأنشد:

واللَّهِ لـو أنـك تـوجتـني
بتـاج كسـرى ملك المشـرِقِ
ولـو بأمـوال الـورى جُـدت لي
أمـوال مـن بـادَ ومـن بـقـي
وقـلتَ لـي لا نـلتـقـي ساعةً
اختـرت يـا مـولاي أن نلتقي

من كبرت همته لم يرض بطلب شيء سوى الله سبحانه وتعالى:

كل غدوي ورواحي ... في مسائي وصباحي
وكذا ذكرك روحي ... ثم ريحاني وراحي
أنت سؤلي ونصيبي ... ومرادي ونجاحي
يا غياثي وملاذي ... لرشادي وصلاحي

□ فصل في قوله تعالى: ﴿وبَدَا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[1]:

هذه الآية كانت تشتدّ على الخائفين من العارفين، فإنها تقتضي أنَّ مِنَ العباد من يبدو له عند لقاء الله ما لم يكن يحتسب، مثل أن يكون غافلاً عما بين يديه معرضاً عنه غير ملتفت إليه ولا يحتسب له، فإذا كُشف الغطاء عاين تلك الأهوال الفظيعة، فبدا له ما لم يكن في حسابه[2].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٤٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لقد كنتَ في غفلة من هذا فكشفنا عنكَ غطاءَكَ فبصركَ اليوم حديد﴾.

ولهذا قال عمر رضي الله عنه: لو أن لي ملك الأرض لافتديت به من هول المطلع[1]. وفي الحديث: «لا تَمنَّوا الموت فإن هول المُطَّلَع شديد، وإنَّ من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة»[2].

وقال بعض حكماء السلف: كم موقف خزي يوم القيامة لم يخطر على بالك قط. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنكَ غطاءَكَ فبصركَ اليوم حديد﴾[3].

□ بيان ما يصير هباء منثوراً من الأعمال:

النوع الأول:

ويشتمل على ما هو أعم من ذلك وهو أن يكون له أعمال يرجو بها الخير فتصير هباءً منثوراً وتبدل سيئات. وقد

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ١/٥٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه ٣/٣٣٢، والبزار وقال الهيثمي ١٠/٣٣٤: وإسنادهما جيد.

و«المطلع»: مكان الإطلاع من موضع عال. يقال: مُطَّلَع هذا الجبل في مكان كذا: أي مَأتاه وَمَصْعَدَه. النهاية ٣/١٣٢.

(٣) سورة ق: الآية ٢٢.

قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يحسَبُهُ الظمآن ماءً حتى إذا جاءَه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع الحساب﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وقَدِمنا إلى ما عَمِلوا من عملٍ فجعلناه هَباء منثوراً﴾[2].

قال الفضيل في هذه الآية: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قال: عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات.

النوع الثاني:

وقريب من هذا أن يعمل الإنسان ذنباً يحتقره، ويستهوِن به فيكون هو سبب هلاكه، كما قال تعالى: ﴿وتحسبُونه هيِّناً وهو عند الله عظيم﴾[3]. وقال بعض الصحابة: إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدقُّ من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من المُوبقات[4].

---

(١) سورة النور: الآية ٣٩.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

(٣) سورة النور: الآية ١٥.

(٤) رواه البخاري عن أنس في كتاب الرقاق ١٨٧/٧؛ قال البخاري =

النوع الثالث:

وأصعب من هذا من زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً. قال تعالى: ﴿قُل هل أنبّئُكُم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضَلَّ سَعْيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهُم يُحسِنُون صُنعا﴾[1].

قال ابن عُيَيْنَة لما حضرت محمد بن المُنكَدر[2] الوفاة جزع فَدَعوا له أبا حازم فجاء، فقال له ابن المنكدر: إنَّ الله يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتَسِبُون﴾، فأخافُ أن يبدوا لي من الله ما لم أكن أحتسب. فجعلا يبكيان جميعاً. خرَّجه ابن أبي حاتم. وزاد ابن أبي الدنيا، فقال

= الموبقات: أي المهلكات. وأخرجه أحمد في مسنده عن أنس ١٥٧/٣، وعن أبي سعيد الخدري ٣/٣، وعن عباد بن قرط ٤٧٠/٣.

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) محمد بن المنكدر: بن عبدالله بن الهدير الإمام شيخ الإسلام، أبو عبدالله القرشي التيمي المدني. كان حافظاً سيد القراء وهو مُجمعٌ على ثقته وتقدّمه في العلم والعمل. توفي سنة ثلاثين ومائة. (التذكرة ١٢٧/١ ت ١١٤).

له أهله: دعوناكَ لتخفِّف عليه فزدته فأخبرهم بما قال[1].

وقال الفُضَيْل بن عِيَاض[2] أُخْبِرتُ عن سليمان التيمي[3] أنه قيل له: أنتَ أنتَ ومن مثلُك؟ فقال: مـه، لا تقولوا هذا، لا أدري ما يبدو لي من الله، سمعت الله يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[4].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٢/١٦٧ ت ١٨٥.

(٢) الفضيل بن عياض: أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم ثقة كبير الشأن. قال هارون الرشيد: ما رأيت في العلماء أهيب من مالك، وأورع من الفضيل. وكان ابن عيينة يقبل يده مرتين. توفي في يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة، وقد جاوز الثمانين (التذكرة ١/٢٤٦ ت ٢٣٢).

(٣) سليمان التيمي بن طرخان القيسي مولاهم البصري، يكنى أبا المعتمر أصله مُرِّي ومنزله في التيّم فنسب إليها. قال يحيى بن سعيدٍ: ما جلست إلى رجل أخوف لله منه. وقال: عنه شعبة ما رأيت أحداً أصدق من سليمان التيمي، كان إذا حدث عن رسول الله ﷺ تغير لونه. مات سنة تسع وثلاثين ومائة. (صفوة الصفوة ٣/٢٩٦ ت ٥٢٨)، (التذكرة ١/١٥٠، ت ١٤٥).

(٤) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/١٥١.

النوع الرابع:

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية[1]. وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار، العالم، والمتصدِّق والمجاهد[2].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١٥/٢٦٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، ح (١٩٠٥)؛ والترمذي في كتاب الزهد، ح (٢٣٨٢)؛ والنسائي في كتاب الجهاد ١/٢٣ ـ ٢٤.

ورواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد. فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن. فأُتي به فعرَّفه بنعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاَّ أنفقتُ فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جَوَاد، فقد قيل، ثم أمر به فحسب على وجهه ثم ألقي في النار». =

النوع الخامس:

وكذلك من عمل أعمالاً صالحةً وكانت عليه مظالم فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب، فيقتسم الغرماء أعماله كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار[1].

= وعند الترمذي زيادة: أنَّه ـ أي شُفَيّاً الأصبحي راوي الحديث عن أبي هريرة ـ كان سيَّافاً لمعاوية رضي الله عنه، فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فُعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هلك، وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَان يُريدُ الحياة الدنيا وزينتها نُوَفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار وحَبِطَ ما صنعوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يعملون﴾ (هود: ١٤ و ١٥).

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟... وذكر في آخره، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فطرح في النار».

أخرجه البخاري في كتاب المظالم ٩٩/٣، وفي الرقاق ١٩٧/٧؛ ومسلم في كتاب البر، ح (٢٥٨١).

النوع السادس:

وقد يُنَاقَشُ الحساب فيُطلب منه شكر النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها وتبقى بقية النعم، فيُطالَب بشكرها فيعذَّب، ولهذا قال ﷺ: «من نوقش الحساب عُذِّب أو هَلَك»[1].

النوع السابع:

وقد يكون له سيئات تحبط بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار. وفي سنن ابن ماجه من رواية ثوبان[2] مرفوعاً: «إنَّ مِنْ أمتي من يجيء بأعمال أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً» وفيه: «وهم قوم من جلدتكم ويتكلمون بألسنتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[3].

---

(١) تقدم في ص ٣٥.

(٢) ثوبان بن بُجْدُد بمضمومة فساكنة وضم دال مهملة ويقال ابن جحدر، أبو عبدالله الهاشمي مولى النبي ﷺ. قيل أصله من اليمن أصابه سبيٌ فاشتراه النبي ﷺ فأعتقه ثم خيَّره بين أهله أو يثبت وقال: منا أهل البيت، فثبت. لازم النبي ﷺ ثم نزل حمص، وتوفي فيها سنة أربع وخمسين (التهذيب ٢/ ٣١ ت ٥٤).

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، ح (٤٢٤٥). قال في الزوائد: إسناده =

وخرَّج يعقوب بن شيبة[1] وابن أبـي الدنيا من حديث سالم مولى أبـي حذيفة مرفوعاً: «لَيُجَاءُ يوم القيامة بأقوامٍ معهم من الحسنات مثل جبال تِهامَةَ[2]، حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباءً ثم أكبَّهم في النار». قال سالم خشيت أن أكون منهم. قال ﷺ: «أما إنهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيهة من الليل، لعلهم كانوا إذا عَرض لهم شيء سراً حراماً أخذوه، فأدحض الله أعمالهم». وقـد يحبط العمل بآفة من رياء خفي أو عُجُب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه.

= صحيح ورجاله ثقات. وعند ابن ماجه: «.. بحسنات أمثال جبال تهامة، بيضاً». وهو ما في الرواية الآتية.

(١) يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور السدوسي البصري، نزيل بغداد صاحب المسند الكبير ما صنف مسند أحسن منه ولكنه ما أتمه. كان فقيهاً ثقة من كبار علماء الحديث. وروي أن في بيته أربعون لحافاً، أعدها لمن كان يبيت عنده من الورّاقين الذين يبيضون المسند. مات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين ومائتين (التذكرة ٢/٥٧٧ ت ٦٠١) في المطبوع يعقوب بن أبـي شعبة وهو تحريف وتصحيف.

(٢) «تهامة»: إسم لكل ما نزل من نجد في بلاد الحجاز، ومكة من تهامة. قال ابن فارس في المجمل: سميت «تهامة» من التَّهَم وهو شدة الحر وركود الريح. تهذيب الأسماء واللغات ٣/٤٤.

□ هم الدنيا وشقاء الآخرة:

قال ضيغم العابد[1]: إن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور، لقد اجتمع عليه الأمران، هم الدنيا وشقاء الآخرة. فقيل له: كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب؟ فقال: كيف بالقبول، كيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح عمله يُجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه[2]. ومن هنا كان عامر بن عبدقيس[3] وغيره يقلقون من هذه الآية: ﴿إنما يتقبَّل الله من المتقين﴾[4].

---

(١) ضيغم بن مالك أبو مالك العابد رحمه الله روى هذا الأثر عنه مولاه أبو أيوب.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٣/٣٦٠ ت ٥٥١.

(٣) عامر بن عبدقيس: بن عبدالله بن عبدالقيس العنبري ابن عمرو، من بني تميم أبو عبدالله. قال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية منهم عامر بن عبدالقيس. وقد تخرج على أبي موسى الأشعري في النسك والتعبد. مات بالشام أيام معاوية رضي الله عنه.
(التهذيب ٥/٧٧ ت ١٢٣)، (الحلية ٢/٨٧ ت ١٦٣)، (طبقات ابن سعد ٧/١٠٣)، (طبقات العصفري ١٩٤).

(٤) سورة المائدة: الآية ٢٧.

وقال ابن عون[1]: لا تثق بكثرة العمل، فإنك لا تدري يُقبل منك أم لا، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري هل كُفِّرت عنك أم لا؟ لأن عملك عنك مُغَيَّب كله لا تدري ما الله صانع به. وبكى النخعي[2] عند الموت وقال: أنتظرُ رسول ربي ما أدري أَيُبشرني بالجنة أو بالنار[3]؟ وجزع غيره عند الموت، قيل له: تجزع؟ قال: إنما هي ساعة ولا أدري أين يُسلك بي؟ وجزع بعض الصحابة عند موته، فسئل عن حاله فقال: إن الله قبض خلقه قبضتين قبضة

---

(١) ابن عون: الإمام شيخ أهل البصرة عبدالله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم البصري الحافظ. قال ابن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة منه، وقال قرة: كنا نعجب من ورعابن سيرين فأنساناه ابن عون. وقال ابن معين: ثقة في كل شيء وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان رأساً في العبادة. مات في رجب سنة إحدى وخمسين ومائة. (التذكرة ١/١٥٦ ت ١٥٢).

(٢) النخعي: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي أبو عمران. دخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو صبي قال سعيد بن جبير: تستفتوني وفيكم النخعي! مات في آخر سنة خمس وتسعين كهلاً قبل الشيخوخة. (التذكرة ١/٧٣ ت ٧٠).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة النخعي ٤/٢٢٤.

للجنة، وقبضة للنار، ولست أدري في أي القبضتين أنا؟[1].

□ الحذر... الحذر:

ومن تأمل هذا حقَّ التأمل أوجب له القلق. فإن ابن آدم متعرض لأهوال عظيمة من الموت والقبر وأهوال البرزخ وأهوال الموقف، كالصراط والميزان. وأعظم من

---

(١) هذا الكلام ورد معناه من كلام النبي ﷺ فقد ذكره النبهاني في الفتح الكبير وعزاه لمسند الإمام أبي يعلى من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً ١/٣٣٩.

ولكن هذه القصة وردت في حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٧٦ ـ ١٧٧، ٥/٦٨؛ عن أبي نضرة، قال: مرض رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فدخل عليه أصحابه يعودونه فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا عبدالله؟ ألم يقل لك رسول الله ﷺ: خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني؟ قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى، يعني: بيده الأخرى وقال: هذه لهذه ولا أبالي». فلا أدري في أي القبضتين أنا؟ وارجع إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني من رقم (٤٧ ـ ٥٠) فقد أورد فيها أحاديث القبضتين وخرَّجها وأسهب في توجيه معناها ورد ما يشتبهه على بعض الناس حولها.

ذلك الوقوف بين يدي الله عز وجل ودخول النار، ويخشى على نفسه الخلود فيها بأن يُسلب إيمانه عند الموت، ولم يأمن المؤمن شيئاً من هذه الأمور ﴿فلا يأمنُ مكرَ اللَّهِ إلَّا القوم الخاسرون﴾[1]. فتحقُّقُ هذا الأمور يمنعُ ابن آدم القرار. رأى بعضهم في النوم قائلاً يقول له:

وكيف تنام العين وهي قريرة
ولم تدر في أيّ المحلين تنزل؟

وسئل بعض الموتى وكان عابداً مجتهداً عن حاله، فأنشد يقول:

وليس يعلم ما في القبر داخله
إلَّا الإله وساكن الأجداث

وفي هذا يقول بعضهم:

أَمَا واللَّهِ لو علم الأنام
لِمَا خُلقوا لما غفلوا ونامـوا
لقد خلقوا لما لو أبصرتْه
عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

مَـمَـاتٌ ثم قـبـر ثـم حـشـر
وتـوبـيـخ وأهـوال عـظامُ
ليـوم الحشر قـد عملت رجـال
فصلوا من مخـافتـه وصـامـوا
ونـحن إذا نـهيـنـا أو أمـرنـا
كـأهـل الكهف أيقـاظ نيـامُ

آخره والحمد لله رب العالمين
وصلى الله عليه سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

تمت هذه النسخة بقلم الفقير الحقير المعترف إلى ربه بالعجز والتقصير راجي عفو ربه وتوفيقه بعدما علقها لنفسه ولمن شاء بعد من بعده راجي عفو ربه المنان إبراهيم بن سليمان بن حجي بن محمد بن عبد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ١١٩٣ على مهاجرها أفضل الصلاة والتسليم رحم الله من نظر إليه ودعا له الله ولوالديه بالأمن يوم الفزع الأكبر آمين.

الفـــهارس

١ ــ فهرس الآيات.
٢ ــ فهرس الأحاديث.
٣ ــ فهرس الآثار.
٤ ــ فهرس الكتب والمراجع.
٥ ــ فهرس الموضوعات.

- ١ -

فهرست الآيات

الآية	رقم الصفحة
﴿أفي الله شك﴾ .	٧٨
﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .	٣٠
﴿أن تلكم الجنة أورثتموها﴾ .	٣٢
﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ .	٤٤
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ .	٢٩
﴿إنما يتقبل الله من المؤمنين﴾ .	٩٧
﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون﴾ .	٢٥
﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ .	٣٦
﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ .	٣٢
﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ .	٧٥
﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا﴾ .	٦١
﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم﴾ .	٢٥
﴿فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون﴾ .	١٠٠
﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ .	٨٥
﴿قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ .	٩١
﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ .	٢٦

الآية	رقم الصفحة
﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.	٨١
﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾.	٨٩
﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾.	٤٧
﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾.	٥
﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه﴾.	٧٤
﴿واذكر إسم ربك بكرةً وأصيلا﴾.	٦٠
﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك﴾.	٦٠
﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.	٧١
﴿وبالاسحار هم يستغفرون﴾.	٦٥
﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾.	٨٨
﴿وبشر الذين آمنوا﴾.	٨٦
﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾.	٩٠
﴿وتلك الجنة التي أورثتموها﴾.	٢٦
﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾.	٩٠
﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.	٤٥
﴿وسبح بحمد ربك﴾.	٦٠
﴿وسبح بالعشي والإبكار﴾.	٦١
﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾.	٩٠
﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾.	٧٩
﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾.	٧٥
﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾.	٨٦
﴿وما جعل الله عليكم في الدين من حرج﴾.	٤٧
﴿والمستغفرين بالأسحار﴾.	٦٥

الآية	رقم الصفحة
﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك﴾.	٧١
﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾.	٦٠
﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾.	٧٨
﴿يبشرهم ربهم برحمة منه﴾.	٢٥
﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾.	٧٦

ـ ٢ ـ

فهرست الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
«ابن آدم اذكرني في ساعة» .	٦٢
«ابن آدم قم إليّ أمش إليك» .	٧٧
«أتدرون من المفلس؟» .	٩٤
«أتراه صادقاً؟» .	٤٨
«إذا سافرتم فعليكم بالدلجة» .	٦٦
«اكلفوا من الأعمال ما تطيقون» .	٤٩
«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة» .	٧٥
«إن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فيّ» .	٨٤
«إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى» .	٨٤
«إن خير دينكم أيسره» .	٤٨
«إن الذكر بعد صلاة الصبح أفضل» .	٦٤
«إن عابداً عبدالله على رأس جبل» .	٣٩
«إن في الجمعة ساعة» .	٦٤
«إن القلوب بين إصبعين» .	٧٦
«إن الرجل يأتي يوم القيامة» .	٣٧

الحديث	رقم الصفحة
«إنكم أمة أريد بكم اليسر».	٤٨
«إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم».	٩٠
«إنكم سترون ربكم يوم القيامة».	٨٤
«إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة».	٤٩
«إن الله عز وجل يقول للجنـة».	٢٨
«إن الله قبض خلقه قبضتين».	٩٩
«إنما بعثتم ميسرين».	٤٧
«إن من أمتي من يجي بأعمال مثل».	٩٥
«إن هذا آخذ بالعسر».	٤٩
«إن هذا الدين متين».	٦٩
«إن هذا الدين يسر».	٢٣
«أوحى الله إلى نبـي من أنبياء بني إسرائيل».	٣٥
«أول ثلاثة يسعر بهم النار».	٩٣
«أي الأديان أحب إلى الله؟ الحنيفية السمحة».	٤٧
«الحمد لله ثمن كل نعمة».	٢٩
«الحنيفية السمحاء».	٤٧
«خط رسول الله ﷺ خط».	٧٣
«خير الهدي هدي محمد ﷺ».	٥٢
«رب قائم حظه من قيامه السهر».	٥٩
«سددوا وقاربوا وأبشروا».	٢٤
«الصلاة الوسطى، صلاة العصر/ الفجر».	٦١
«الطاعم الشاكر له أجر الصائم الصابر».	٥٨
«عليكم هدياً قاصداً فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه».	٤٩

الحديث	رقم الصفحة
«قل اللهم مغفرتك».	٤٣
«لكن أصوم وأفطر وأقوم وأفتر».	٥٠
«لن ينجي أحداً عمله».	٦، ٢٣
«لو عذب الله أهل سماواته».	٤٢
«ليجاء يوم القيامة بأقوام».	٩٦
«ما أحسن القصد في الفقر».	٦٨
«ما أنعم الله على عبد نعمه».	٣١
«من أتى فراشه وهو ينوي قيام الليل».	٥٧
«من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً».	٧٦
«من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل».	٦٥
«من صام ثلاثة أيام من كل شهر».	٥٧
«من صلى البردين دخل الجنة».	٦١
«من صلى العشاء في جماعة».	٥٧
«من صلى الفجر في جماعة».	٥٧
«من نوقش الحساب هلك/ عذب».	٣٥، ٩٥
«من نوى أن يقوم من الليل».	٥٨
«من هم بحسنة فله عشر أمثالها».	٣٣
«والله أعلا وأجل».	٧٦
«لا إله إلا الله ثمن الجنة».	٢٩
«لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد».	٨٩
«لا تكن مثل فلان كان يقوم».	٤٥
«لا صيام أفضل من ذلك».	٥١
«لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها».	٨١

الحديث	رقم الصفحة
«يا مؤمن جز فقد أطفأ نورك لهبي».	٨١
«يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقف».	٣٧
«يؤتى بالنعم يوم القيامة ويؤتى بالحسنات».	٣٨
«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل».	٤٦
«يسروا ولا تعسروا».	٤٧
«ينزل الله «مساءً» إلى السماء الدنيا».	٦٣

— ٣ —
فهرست الآثار

الأثر	رقم الصفحة
(أخاف أن يبدو لي من الـلـه).	٩١
(الآخرة إما عفو الله أو النار).	٢٦
(إذا أذنب العبد ثم قال يـا رب).	٣٣
(إذا بسط فضله لم يبق لأحد سيئة).	٣٤
(إذا جعت فذكره زادي).	٨٣
(إذا نظر إليك الشيطان).	٤٦
(اللهم اغفر له وارحمه ولا تكله إلى عمله).	٤٢
(أنتظر رسول ربـي).	٩٨
(أنتم أكثر صوماً وصلاةً).	٥٤
(إن العرش يهتز من السحر).	٦٥
(إن الغلو في العبادة سيئة).	٦٩
(إن كان ولياً لله ففضل لـه).	٣٣
(إنَّ كل حبيب يحب أن يلقى حبيبه).	٧٢
(إن الله ومـلائكته يتراؤن مجلسك).	٦٣
(إن لم تأت الآخرة المـؤمن).	٩٧
(إنما تفاوتوا بالإرادات).	٥٤

الأثر	رقم الصفحة
(إنما هي ساعة لا أدري أين يسلك بـي).	٩٨
(إنمايريد الله منكم صدق النيـة).	٥٤
(بلغنا أن الله ينزل مساءً إلى السمـاء).	٦٢
(بلغنا أنه من ختم نهاره بذكر الله).	٦٢
(تركتهما بين يدي الله).	٨٣
(الحساب الشديد الذي ليس فيـه).	٣٦
(الحمد لله حمداً يوافي نعمه).	٣١
(خير الأمور أوسطها).	٦٨
(رأيت رب العزة في المنام).	٥٧
(رؤية فضل الله).	٤٤
(السداد القصد في الدين).	٥٢
(السفلة من لا يعرف الطريق).	٧٣
(عبد عابد خمسين عاماً.	٣٩
(عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله).	٢٦
(عملوا أعمالاً حسبوا أنها حسنات).	٩٠
(كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله).	٢٧
(كم من مستغفر ممقوت).	٥٩
(كم من موقف خزي).	٨٩
(كيف يعجب عاقل بعمله).	٤١
(لا تثق بكثرة العمل).	٩٨
(لا تسألوا عن أجره).	٤١
(لو أن لي ملك الأرض).	٨٩
(ليس الشأن فيمن يقوم الليل).	٥٩

الأثر	رقم الصفحة
(ليس هذا الأمر بقطع المسافات).	٥٦
(ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة).	٥٤
(ما زلت أقود نفسي إلى الله).	٧١
(ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة).	٥٣
(ما كنت أظن أحداً ينام في السحر).	٦٥
(المناقشة سوء الاستقصاء).	٣٦
(من ركن إلى الدنيا أحرقته).	٨٧
(مه، لا تقولوا هذا).	٩٢
(نفوسكم مطاياكم).	٧١
(ويل لأهل الرياء من هذه الآية).	٩٣
(يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم).	٥٨
(يا قوم المداومة المداومة).	٧١

ـ ٤ ـ

فهرس الكتب والمراجع

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي أبي حامد (٥٠٥هـ)، وبذيله المغني للعراقي، دار المعرفة، بيروت.

(٢) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لعلي بن محمد المشهور بالملّا علي القاري (١٠١٤هـ)، تحقيق محمد الصباغ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩١هـ.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، القاهرة.

(٥) الأعلام، للزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الطبعة الثانية (١٣٧٣هـ).

(٦) إنباء الغمر بأنباء العمر، لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، حيدر آباد، الهند ـ دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٨٩.

(٧) الأنساب، للسمعاني أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي الصغاني (٥٦٢هـ) تحقيق الأستاذ محمد عوامة، الناشر

محمد أمين دمج، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ.
(٨) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للذهبي أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، القاهرة مكتبة المقدسي، ١٣٦٧هـ.
(٩) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٩٣هـ)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، سنة ١٣٤٩هـ.
(١٠) تاريخ بغداد، لابن النجار أبي عبدالله محمد بن محمود بن الحسن (٦٤٣هـ) لم يخرج إلّا مجلداً واحداً وذيل تاريخ بغداد، حيدرآباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٩٧٨.
(١١) التاريخ الصغير، للبخاري أبي عبدالله محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.
(١٢) التاريخ الكبير، للبخاري أبي عبدالله محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ)، حيدرآباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية.
(١٣) تذكرة الحفاظ، للذهبي أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، بيروت، دار احياء التراث العربي (١٣٧٧هـ).
(١٤) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥.
(١٥) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م.
(١٦) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

(١٧) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، طبع في الهند، حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية ١٣٢٦هـ.
(١٨) تهذيب اللغة، للأزهري أبي منصور محمد بن أحمد (٣٧٠هـ)، تحقيق عبدالحليم النجار، الدار المصرية.
(١٩) تهذيب الألفاظ، لابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٣هـ)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٥م.
(٢٠) جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري أبي السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ١٣٩٢هـ.
(٢١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري أبي جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.
(٢٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للسيوطي أبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م.
(٢٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٠م.
(٢٤) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي أبي محمد عبدالرحمن بن محمد (٣٢٧هـ)، طبع الهند، حيدرآباد، دار المعارف العثمانية، ط ١، ١٢٧١هـ.
(٢٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله بن أحمد (٤٣٠هـ)، مكتبة الخانجي، مصر، ط ١، ١٣٥١هـ.

(٢٦) الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي عبدالقادر بن محمد (٩٢٧هـ)، تحقيق جعفر الحني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٠هـ.

(٢٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، تحقيق محمد سيد جادالحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط ٢، ١٣٨٥هـ.

(٢٨) الرسالة المستطرفة، للكتاني محمد بن جعفر، نشر مكتبة عرفة، ط ١، ١٣٣٢.

(٢٩) زوائد ابن ماجه، للحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري، نقلها محمد فؤاد عبدالباقي في تعليقه على سنن ابن ماجه، بعد نقلها من حاشية الإمام أبي الحسن السندي على ابن ماجه، انظر مقدمة طبعة ابن ماجه.

(٣٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ الألباني ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣١) سنن البيهقي الكبير، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله (٤٥٨هـ)، دار المعرفة، بيروت.

(٣٢) سنن الترمذي الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، مصطفى البابي، ١٩٣٧م.

(٣٣) سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن (٢٥٥هـ)، تصوير شعبان قورت، استنبول، ١٩٨١م.

(٣٤) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ٢، ١٣٦٩.

(٣٥) سنن ابن ماجه، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزوني (٢٧٥هـ)، تصوير شعبان قورت، استنبول، ١٩٨١م.
(٣٦) سنن النسائي، أبي عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب (٣٠٣هـ)، تصوير شعبان قورت، استنبول، ١٩٨١م.
(٣٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي أبي الفلاح عبدالحي (١٠٨٩هـ)، المكتب التجاري.
(٣٨) شرح أحياء علوم الدين المسمى بأتحاف السادة المتقي بشرح أسرار احياء علوم الدين، للزبيدي محمد بن محمد الحسيني المرتضى أبي الفيض (١٢٠٥هـ)، المطبعة الميمونة، القاهرة ١٣١١هـ.
(٣٩) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي يحيى بن شرف (٦٧٦هـ) بحاشية إرشاد الساري، دار الكتاب العربي، بيروت.
(٤٠) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي علي بن علي (٧٩٢هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
(٤١) الشكر، لابن أبي الدنيا أبي بكر عبدالله بن محمد (٢٨١هـ)، مطبعة المنار، مصر، ط ١، ١٣٤٩هـ.
(٤٢) الشكر، للخرائطي محمد بن جعفر بن محمد بن سهل (٣٢٧هـ) مخطوط.
(٤٣) صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية، استنبول، ١٩٨١م.
(٤٤) صحيح ابن حبان، البستي أبي حاتم محمد بن محمد بن حبان بن معاذ (٣٥٤هـ)، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة.
(٤٥) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق وفهرست محمد فؤاد عبدالباقي، تصوير شعبان قورت، استنبول.

(٤٦) صفوة الصفوة، لابن الجوزي أبـي الفـرج عبدالـرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، دار المعرفة، بيروت.
(٤٧) طبقات الأولياء، لابن الملقن أبـي حفص عمر بن علي بن أحمد (٨٠٤هـ)، تحقيق نورالدين شربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.
(٤٨) الطبقات، للعصفري أبي عمرو خليفة بن الخياط (٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعـة العاني، بغـداد، ط ١، ١٣٨٧هـ.
(٤٩) طبقات الحفاظ للسيوطي جلال الدين (٩١١هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٣٩٣.
(٥٠) الطبقات الكبرى، للشعراني أبـي المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي (٩٧٣هـ)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٧٣.
(٥١) الطبقات الكبرى، لابن سعد أبـي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ)، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م.
(٥٢) طبقات الصوفية، للسلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي (٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شربيه، القاهرة، جامعة الأزهر، ١٣٧٢هـ.
(٥٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقـلاني (٨٥٢هـ)، المطبعة السلفية.
(٥٤) الفتح الكبير، للنبهاني يوسف بن إسماعيل (١٣٥٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
(٥٥) فيض القدير شـرح الجامـع الصغير، للمنـاوي عبدالـرؤوف (١٠٣١هـ)، مطبعة مصطفى محمد، ط ١، ١٣٥٦هـ.
(٥٦) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، للبخاري أبي عبدالله

محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، شرحه فضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

(٥٧) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي علي بن حسام الدين (٩٧٥هـ)، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

(٥٨) الكنى والأسماء، للدولابي أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد (٣١٠هـ)، حيدرآباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٢٣هـ.

(٥٩) المجروحين من المحدثين، لابن حبان البستي محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم (٣٥٤هـ)، تحقيق محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ.

(٦٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

(٦١) المجموعة السلفية، للشيخ علي بن عبدالله الصقعبي القصيمي، طبع في السعودية، طبعة أولى، وقفاً لله تعالى.

(٦٢) مختار الصحاح، للرازي محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٧م.

(٦٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبي عبدالله الشيباني (٢٤١هـ)، تصوير استنبول، شعبان قورت، ١٩٨١م.

(٦٤) مسند البزار، أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق (٢٩٢هـ).

(٦٥) المعجم الصغير والأوسط والكبير، للطبراني أبي القاسم سليمات بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)، طبع الصغير والكبير، وأما الأوسط يحققه الدكتور محمود الطحان.

(٦٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي.
(٦٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لـ (أ. ي. ونسنك)، ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي، ١٩٣٦.
(٦٨) مفتاح كنوز السنه، لمحمد فؤاد عبدالباقي ترجمة، وتأليف (أ. ي. ونسنك)، إدارة ترجمان السنة، الهند، ١٣٩٨.
(٦٩) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي أبي الخير محمد بن عبدالرحمن (٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٩.
(٧٠) موطأ الإمام مالك بن أنس، تصوير استنبول، شعبان قورت، ١٩٨١م.
(٧١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
(٧٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان أبي العباس (٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.
(٧٣) نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن، جمع مصطفى بن اسماعيل، دار صادر، بيروت.
(٧٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، تحقيق الأستاذين الزاوي والطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة المؤلف	١١
نماذج من صور المخطوطات	١٣
أول الرسالة	٢١
ذكر روايات الحديث	٢٣
الأصل العظيم	٢٥
بيان معنى الباء في الآية والحديث	٢٦
الحمد لله ثمن كل نعمة	٢٩
بيان معنى النعم وأنّ الحمد منها	٣١
الجنة والعمل من فضل الله تعالى	٣٢
الشقاء والسعادة بعدله ورحمته جلَّ وعلا	٣٣
ما يجب على العبد معرفته	٤٠
الاشتغال بالشكر أعظم النعم	٤٠
العمل لا يوجب النجاة	٤١
الاعتراف بفضل الله عز وجل	٤٣
ما على العبد للفوز والنجاة	٤٤

الموضوع	الصفحة
بيان أحب الأعمال إلى الله	٤٥
معنى سدّدوا وقاربوا	٥١
بيان ما تفوّق به الصحابة	٥٣
قاعدة جليلة	٥٦
بيان جملة من التيسير في التشريع	٥٧
معنى الغدوة والروحة والدلجة وأوقاتها وفضائلها	٥٩
معنى القصد في السير	٦٨
سلوك صراط الله عز وجل	٧٢
الأعمال بالخواتيم	٧٥
فضل تقرب العبد إلى الله عز وجل	٧٦
أنواع الوصول إلى الله تعالى	٧٨
حال من التزم الإسلام أو الإيمان أو الإحسان	٨٠
فضل وقتي الغداة والعشي والمقصود بهما	٨٥
حال من ركن إلى الآخرة ومن ركن إلى الدنيا	٨٧
فصل في قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾	٨٨
بيان ما يصير هباء منثوراً من الأعمال	٨٩
النوع الأول	٨٩
النوع الثاني	٩٠
النوع الثالث	٩١
النوع الرابع	٩٣
النوع الخامس	٩٤
النوع السادس	٩٥

الموضوع	الصفحة

النوع السابع ٩٥
هم الدنيا وشقاء الآخرة ٩٧
الحذر... الحذر..... ٩٩
آخر الرسالة ١٠١
فهرس الآيات الكريمة..... ١٠٥
فهرس الأحاديث الشريفة ١٠٩
فهرس الآثار ١١٣
فهرس الكتب والمراجع ١١٧
فهرس الموضوعات..... ١٢٥